سيميائية الحواس في شعر عبد الله البردوني

ديوان (من أرض بلقيس) أنموذجا

إعداد

د/ إبراهيم عبد العزيز متولي سيد احمد عيسى

مـــدرس الأدب والنقـــد

في كلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بالمنوفية

١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م

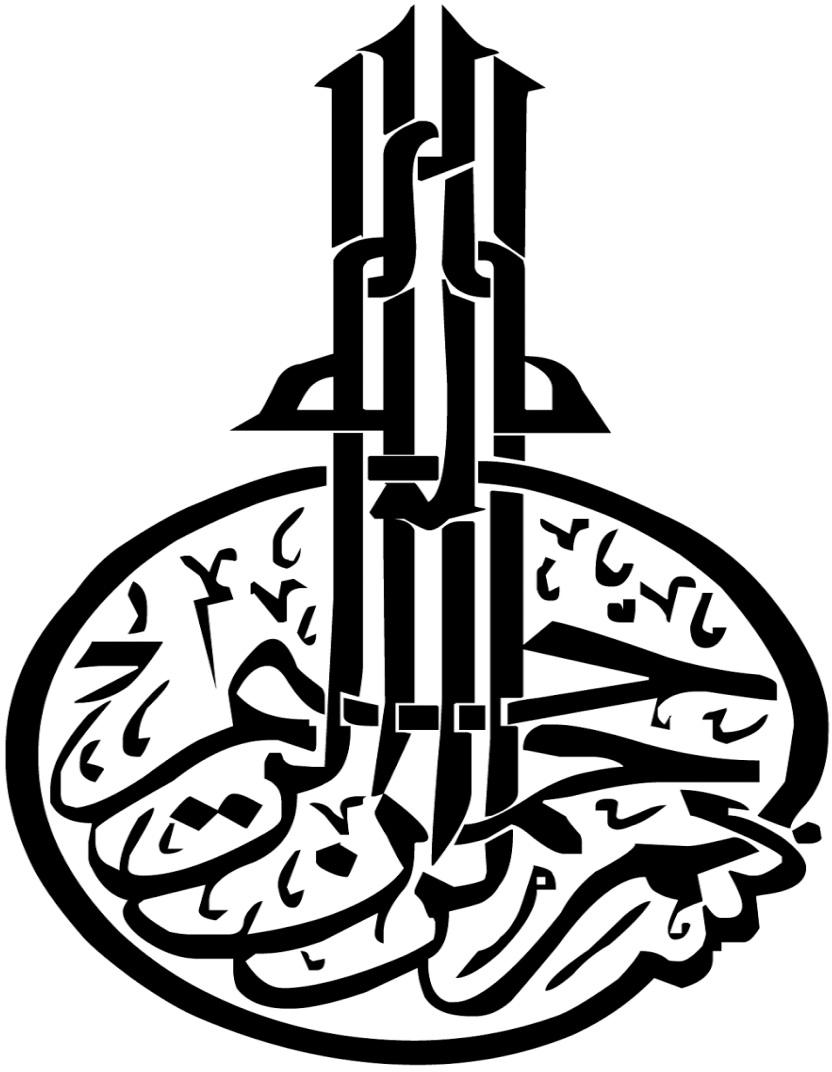

سيميائية الحواس في شعر عبد الله البردوني ديوان (من أرض بلقيس) أنموذجا

إبراهيم عبد العزيز متولي سيد احمد عيسى.
قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني:
ebrahimsayedahmed.lan@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف الباحث من خلال هذه المحاولة دراسة سيميائية الحواس في شعر (البردوني) وخُصَّ ديوان (من أرض بلقيس) بالدراسة والتحليل؛ لظهور الصورة الحسية فيه بصورة واضحة المعالم ومكثفة الدلالة، وكذا العمل علىٰ إبراز جمالية توظيف هذا المصطلح، الذي شاع توظيفه بمعنىٰ السمة أو العلامة، فقد استطاع هذا الشاعر الضرير توظيف الحواس الخمس في شعره توظيفا ينم عن عقلية واعية، وموهبة فذة استطاع من خلالها التعبير عن مضامينه ورؤاه الفكرية، وإبراز المعاني الوظيفية التي جاءت صوره الحسية للتعبير عنها وما ينسجم مع رؤيته وتجربته الشعرية، فاعتمد علىٰ الحواس وجعلها وسيلة للصورة الشعرية عنده، كثف من خلالها الدلالات؛ ليعبر عن مخزونه العاطفي، ويعلن قدرته علىٰ مجاراة المبصرين، حتىٰ يقدم للقارئ صوره الحسية بتشكيلات إبداعية رائعة.

ومما يعكس أهمية الصورة الحسية في شعره: عدم خلو قصائده من ذكر مشاهد حسية تتجسد بإحدىٰ الحواس التي يعمد إلىٰ توظيفها توظيفا دقيقا في جل أغراضه، مستخدما الحاسة المناسبة لكل غرض، ففقدان البصر عنده

وهو في سن مبكرة لا يمثل أية إعاقة في تشكيل صوره الشعرية، بل كان له الأثر الأكبر في تكوينه الفكري والثقافي والسلوكي والاجتماعي.

الكلمات المفتاحية: السيميائية – الصورة الحسية– عبد الله البردوني– ديوان من أرض بلقيس.

The semiotics of the senses in the poetry of Abdullah Al-Baradouni, Diwan (from the land of Bilqis) as a model

Ibrahim Abdel Aziz Metwally Sayed Ahmed Issa.
Department of Literature and Criticism, Faculty of Arabic Language in Menoufia, Al-Azhar University, Egypt.
E-mail/ebrahimsayedahmed.lan@azhar.edu.eg

Abstract:

The research aims to study the semiotic method in the poetry of (Al-Baradouni), and a diwan (from the land of Bilqis) was devoted to study and analysis; Because the sensory image appeared in it in a clearly defined and intensely significant way, as well as working to highlight the aesthetic of employing this term, which was commonly used in the sense of a feature or a sign. Its contents and intellectual visions, and to highlight The functional meanings that his sensory images came to express and what is consistent with his vision and poetic experience, so he relied on the senses and made them a means of his poetic image, through which he intensified the semantics; To express his emotional reserve, and declare his ability to keep pace with the sighted, in order to present to the reader his sensory images with wonderful creative formations.

What reflects the importance of the sensory image in his poetry is that his poems are not free from mentioning sensory scenes that are embodied by one of the senses that he deliberately employs for most of his purposes, using the appropriate sense for each purpose. Rather, it had the greatest impact on his intellectual, cultural, behavioral and social formation.

Keywords: semiotics - sensory image - Abdullah Al-Baradouni - Diwan from the land of Bilqis.

مقدمة

الحمد لله الملك الوهاب، والصلاة والسلام علىٰ سيدنا محمد ﷺ-- سيد الأحباب، وعلىٰ آل بيته والأصحاب ،،،،

وبعد...

فتعد سيميائية الحواس من الركائز الأساسية، والظواهر الأدبية المعاصرة التي لجأ إليها الشعراء عامة، و(البردوني) خاصة كوسيلة مهمة من وسائل تشكيل الصورة الشعرية في قصائدهم، وبما أن الشعر نتاج إنساني بحت ينبع من روح الشاعر من خلال تجاربه المتعددة، كان لزاما عليه توظيف الحواس في صوره الشعرية؛ لترجمة وكشف ما يجول في خاطره من مشاعر وأفكار وهواجس في صورة فنية إبداعية مؤثرة ومحسوسة.

ولما للحواس من دور بالغ الأهمية في النص الشعري، وما يمكن أن تتركه من أثر جمالي في نفس المتلقي، هذا الأثر يعمل علىٰ جذب انتباه المتلقي لهذا الجمال الذي يثير مشاعره وأحاسيسه، ويطوف بخياله في أعماق بعيدة تترك أثرا عظيما في نفسيته، كانت هذه الدراسة الموسومة بـ (**سيميائية الحواس في شعر عبد الله البردوني ديوان "من أرض بلقيس" أنموذجا**)؛ حيث اعتمد علىٰ الحواس وجعلها وسيلة للصورة الشعرية عنده، كثف من خلالها الدلالات؛ ليعبر عن مخزونه العاطفي، ويعلن قدرته علىٰ مجاراة المبصرين، حتىٰ قدم للقارئ صورة حسية بدلالاتها التعبيرية الإبداعية.

وقد وقفت هذه المحاولة على معالجة (سيمياء الحواس) خاصة؛ لما وجد عند هذا الشاعر الضرير من قدرة فائقة من استنطاق الحواس كافة

ولاسيما حاسة البصر بصورة إبداعية مؤثرة، وهذا أول الأسباب التي دفعتني إلىٰ اختيار هذا الشاعر وهذا الديوان، كما أنه استطاع توظيف الحواس الخمس في شعره توظيفا ينم عن عقلية واعية، وموهبة فذة استطاع من خلالها التعبير عن مضامينه الفكرية، وإبراز المعاني الوظيفية التي جاءت صوره الحسية للتعبير عنها وما ينسجم مع رؤيته وتجربته الشعرية، ففقدان البصر عنده وهو في سن مبكرة لا يمثل أية إعاقة في رسم صوره الشعرية، بل كان له الأثر الأكبر في تكوينه الفكري والثقافي والسلوكي والاجتماعي، "فإذا كان الجدري قد أطفأ الضوء في عينيه وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، فإنه لم يتمكن من إطفاء جذوة بصيرته التي كشفت له ما احتجب عن غيره"[1].

وقد اتخذ الباحث ديوان (من أرض بلقيس) أنموذجا؛ لتوافر الحواس وتواترها فيه بصورة بارزة ومكثفة الدلالة، استطاع الشاعر من خلالها التعبير عن مضامينه وأفكاره بصورة جميلة ومؤثرة، كما أنه أراد أن يكشف للقارئ عن أرض بلقيس، فهي وطنه العزيز لديه المحبب إلىٰ قلبه، فأراد وصول هذه الصورة إلىٰ القارئ.

ولعل هذه الدراسة رغم اقتصارها علىٰ ديوان واحد إلا أن الباحث ربما أمكنه القول بأن سيميائية الحواس تعد قاسما مشتركا مع أشعاره الأخرىٰ.

(١) دراسات وأبحاث ندوة عبد الله البردوني الشاعر البصير، (٥-٦ سبتمبر ٢٠١٨م)، ٢٢، سلسلة الندوات (٢١)، مطبعة جولدن سيتي- الشارقة، ط١، ٢٠١٩م.

لذا يهدف البحث إلى:

١- دراسة الحواس في شعر (عبد الله البردوني) من خلال المنهج السيميائي، وإبراز جمالية توظيف هذا المصطلح، حيث شاع توظيفه بمعنىٰ السمة أو العلامة.

٢- الوقوف علىٰ دراسة سيميائية هذه الصور الحسية وبيان قدرة الشاعر علىٰ توظيفها.

أما عن إشكالية البحث فتكمن في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما معنىٰ السيميائية؟ وما معنىٰ الصورة الحسية؟ وما أنماطها عند الشاعر؟

- كيف استطاع هذا الشاعر الضرير من ملاحقة الشعراء المبصرين بل التفوق علىٰ بعضهم، واستنطاق الحواس خاصة حاسة البصر بصورة إبداعية مؤثرة؟

- وهل كان لفقدان البصر أثر في توجيه الحواس وتراسلها في شعره؟

وقد أجاب الباحث عن هذه التساؤلات في أثناء الدراسة.

والمنهج المتبع في الدراسة المنهج السيميائي القائم علىٰ دراسة وفهم ما أودعه الشاعر من رؤىٰ وأفكار داخل قصائده، وتحليل وتصنيف الصور علىٰ حسب الحاسة المعبرة عنها، وإظهار دلالاتها وسماتها الفنية عنده.

أما عن الدراسات السابقة في هذا الموضوع: فقد تنوعت وتعددت الدراسات التي تناولته، ومنها:

– سيمياء الحواس في كتاب الحيوان للجاحظ "دراسة في النظرية والتطبيق"، حسن محمد الربابعة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد ٣٤، العدد ٢، ٢٠٠٧م.

– شعرية الحواس في المجموعة القصصية "حواس زهرة نائمة" لـ "سامية غشير"، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي- جيجل.

– توظيف الحواس في غزليات بشار بن برد (ت١٦٧هـ)، مجلة آداب الفراهيدي، أ.م.د/ نجلاء عبد الحسين عليوىٰ، العدد٣٥، أيلول٢٠١٨م.

أما عن الشاعر نفسه فقد دارت حوله دراسات عدة منها:

– توظيف السرد في شعر البردوني، محمد صالح المحفلي، رسالة ماجستير، جامعة حضر موت، اليمن، ٢٠٠٩م.

– دراسات وأبحاث ندوة عبد الله البردوني الشاعر البصير، (٥-٦ سبتمبر ٢٠١٨م)، سلسلة الندوات (٢١)، مطبعة جولدن سيتي- الشارقة، ط١، ٢٠١٩م.

وقد اعتمدت في الدراسة علىٰ ديوان (عبد الله البردوني)، الأعمال الشعرية، المجلد الأول، مكتبة الأرشاد، صنعاء- اليمن، ط٤، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

أما عن خطة البحث فقد اشتملت علىٰ خمسة مباحث تسبقها مقدمة وتمهيد، وتعقبها خاتمة وثبت المصادر والمراجع ثم فهرس الموضوعات.

أما المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع وأهميته، وأهدافه، وإشكالية البحث، ومنهج البحث، والدراسات السابقة.

وجاء التمهيد في محورين:

الأول: تناول التعريف بالشاعر.

والثاني: سيميائية الحواس (المفاهيم والتجليات).

المبحث الأول: الصورة البصرية.

المبحث الثاني: الصورة السمعية.

المبحث الثالث: الصورة الذوقية.

المبحث الرابع: الصورة الشمية.

المبحث الخامس: الصورة اللمسية.

الخاتمة: وتضمنت أهم النتائج التي توصل إليها الباحث من دراسته.

والدراسة في مجملها محاولة من الباحث لفهم الصورة الحسية في شعر الرجل، وبيان مدىٰ توظيفها سيميائيـًا، وهو إذ يقدمها بين يدي القارئ يرجو من الله – تعالىٰ – التوفيق والسداد والنجاح.

تمهيد:

الشاعر والسيميائية

المحور الأول: التعريف بالشاعر

- **مولده**

هو عبد الله بن صالح بن عبد الله بن حسن البردوني، ولد عام (١٩٢٩م) وقيل (١٩٣٠م) في قرية (البردون) من قبيلة (بني حسن)، في ناحية (الحدا)، شرقي مدينة (ذمار) في اليمن.

- **مرضه**

وقد أصيب بمرض الجدري وهو في الخامسة أو السادسة من عمره، وعلىٰ إثره فقد بصره[١].

وعلىٰ الرغم من فقدان بصره المبكر لم يترك تعليمه، فدرس في قرية (البردون) الذي ولد فيها، ثمَّ انتقل مع عائلته إلىٰ ذمار وهناك التحق بالمدرسة الشمسية الزيدية المذهب، ظهر اهتمام (البردوني) بالأدب والشعر وهو في الثالثة عشرة من عمره، حيث كان مولعًا بحفظ القصائد التي تقع بين يديه، ثم انتقل إلىٰ صنعاء وهو في أواسط العشرينيات من عمره، وهناك حصل علىٰ جائزة التفوق اللغويِّ من دار العلوم الشرعية، وفي عام ١٩٤٨م أدخل السجن في عهد الإمام أحمد بن يحيىٰ بسبب مواقفه السياسية ومساندته لثورة الدستور، وكان (البردوني) شاعرًا من أعظم الشعراء

(١) ينظر: الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٢٣، وما يليها، مكتبة الأرشاد، صنعاء- اليمن ، ط٤، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

اليمنيين، اشتهرت قصائده القومية والسياسية التي تميل إلىٰ السخرية من الوضع اليمني المؤسف، وقد تميَّز شعره بقوة السبك وعرامة اللغة(١).

- **وفاته**

في اليوم الثلاثين من أغسطس من عام ١٩٩٩م توفِّي (عبد الله البردوني) في الأردن أثناء سفره للعلاج فيها، تاركًا وراءه عددًا كبيرًا من الدواوين والمؤلفات(٢).

- **آثاره الشعرية والأدبية**

لقد وهب (البردوني) موهبته لهذا الوطن، وأخبرنا منذ أن بدأ يُنشئ الشعر في ديوانه الأول (من أرض بلقيس) -موضوع الدراسة- أن شعره للوطن، وهذا الاسم ينبئ عن حضور الوطن بشكل لافت للنظر في جل دواوينه التي هي الأخرىٰ تحمل هم الوطن ولو انزاح عنها دلاليا(٣).

وقد أصدر في حياته الشعرية اثنى عشر ديوانا، وهي:

من أرض بلقيس (موضوع الدراسة) – في طريق الفجر- مدينة الغد- لعيني أم بلقيس- السفر إلىٰ الأيام الخضر- وجوه دخانية في مرايا الليل- جواب العصور- زمان لا نوعية- ترجمة رملية لأعراس الغبّار- كائنات الشوق الآخر- رواغ المصابيح- رجعة الحكيم بن زايد.

(١) ينظر: السابق، ٥٥ وما بعدها. وينظر: نبذة عن الشاعر عبد الله البردوني، الشبكة العنكبوتية، موقع سطور ، ٢٣ يوليو ٢٠١٩م.

(٢) ينظر: الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني. المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٢٣، وما يليها.

(٣) دراسات وأبحاث ندوة عبد الله البردوني الشاعر البصير، (٥-٦ سبتمبر ٢٠١٨م)، ٢٠٧، سلسلة الندوات (٢١)، مطبعة جولدن سيتي- الشارقة، ط١، ٢٠١٩م.

وله دراسات نثرية، منها:

رحلة في الشعر اليمني- قضايا يمنية- فنون الأدب الشعبي في اليمن- اليمن الجمهوري- الثقافة الشعبية- الثقافة والثورة- دراسة في شعر الزبيري- أشتات[1].

المحور الثاني: سيميائية الحواس (المفاهيم والتجليات)

أولاً: مفهوم السيميائية[2]

(١) دراسات وأبحاث ندوة عبد الله البردوني الشاعر البصير، (٥-٦ سبتمبر ٢٠١٨م)، ٨٤، وما بعدها.

(٢) السيمياء: العلامة، مشتقة من الفعل "سام" الذي هو مقلوب "وسم"وهي العلامة، فيقولون: سَوَّمَ إذا جَعَلَ سمة، وكأنهم إنما قلبوا حروف الكلمة لقصد التوصّل إلىٰ التخفيف لهذه الأوزان، لأن قلب عين الكلمة متأتٍ خلاف قلب فائها، والخيل المسومة هي التي عليها السيما والسومةُ، وهي العلامةُ. وسيما في الأصل (وسْمىٰ) فحّولت الواو من موضع الفاء فوضعت في موضع العين فصار (سِومىٰ) وجعلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها. وقد ورد هذا المعنىٰ في القرآن الكريم في عدة مواضع، منها قوله تعالىٰ ﴿تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة:٢٧٣]. وقوله تعالىٰ ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾ [سورة الأعراف:٤٦].وقوله تعالى ﴿يُعۡرَفُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ بِسِيمَٰهُمۡ فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ﴾ [سورة الرحمن:٤١]. ينظر لسان العرب، ابن منظور.

وفي معجم الصحاح للجوهري: السيما مقصور من الواو، قال تعالىٰ ﴿سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

قال: وقد يجيء السِّيما والسِّيميَا ممدودين؛ وأَنشد لأُسَيْدِ ابن عَنْقاء الفَزارِيِّ يمدح عُمَيْلَةَ حين قاسمه مالَه:

غُـــلامٌ رَمـــاه اللهُ بالحُسْـــنِ يافعـــًا ... لـــه سِـــيمِياءٌ لا تَشُـــقُّ علـــىٰ البَصَـــرْ

حظيت السيميائية باهتمام العديد من النقاد والباحثين، فاهتموا بدراستها وتطبيقها علىٰ النصوص الشعرية؛ لما وجدوه في هذه المنهج النقدي من حرية التعبير والتحليل والتأويل والفهم.

وقد شهد مصطلح السيماء تعددا في تسميته تبعا لكل مدرسة من مثل: (السيميولوجيا عند دي سوسير، العلامة عند رولان بارت، علم الإشارة، السيميوطيقا عند بيرس، علم الدلالة ...) وغيرها من المصطلحات التي تبحث في نظام النص العلاماتي للوصول إلىٰ المعنىٰ والدلالة، وهي تعني العلامة .

فالسيميائية: "علم يدرس العلامة ومنظوماتها ، كما يدرس الخصائص التي تمتاز بها علاقة العلامة بمدلولاتها"[1] أي تدرس علاقات العلامات والقواعد التي تربطها أيضا.

ويطلق عليها (علم العلامات): وهي إحدىٰ علوم اللغة التي تدرس الإشارات أو العلامات وفق نظام منهجي خاص يبرز ويحدد الإشارة، أو العلامة اللغوية، أو التصويرية في النصوص الأدبية وفي الحياة الاجتماعية[2].

كـــأَنَّ الثُّرَيَّـــا عُلِّقَـــتْ فَـــوْقَ نَحْـــرِهِ وفي جِيـدِه الشِّـعْرَىٰ، وفي وجهـه القَمَـر

له سِيمياء لا تشق علىٰ البصر أَي يَفْرَح به من ينظر إِليه. ينظر: لسان العرب، ابن منظور.

(١) ينظر: السيميائية أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، سعدي موسىٰ عمر البشير، ٦-٧، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجية.

(٢) قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د/ سمير سعيد حجازي، ١٢٠، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

أو بمعنى آخر: علم العلامات أو الإشارات أو الدوال اللغوية أو الرمزية سواء أكانت طبيعية أم اصطناعية، ويعني هذا أن العلامات إما يضعها الإنسان اصطلاحا عن طريق اختراعها واصطناعها والاتفاق مع أخيه الإنسان علىٰ دلالاتها ومقاصدها مثل: اللغة الإنسانية ولغة إشارات المرور، أو أن الطبيعة هي التي أفرزتها بشكل عفوي وفطري.

فهي علم يعنىٰ بدراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة ومنتظمة، فالسيمياء أو السيماء بمعنىٰ واحد ومعناهما "نظام العلامات" ولئن فرق بعضهم بينهما؛ فإنهما يصبان أخيراً بمعنىٰ "علامة اجتماعية " أو "علامة أدبية[1].

نخلص إلى أن السيميائية لها معنىٰ واحد وهو العلامة، فهي تهتم بدراسة العلامات واستعمالاتها، ودراستها تتضمن كيفية استعمال الكلمات وأصواتها فضلا عن الإشارات وأنظمة الاتصال.

ثانيا: الصورة الحسية (الحواس):

الحواس جمع حاسة، وتطلق علىٰ القوة التي من خلالها تدرك الأغراض الحسية، وهذا الإدراك يتم عبر أعضاء جسمية بينها ربنا -سبحانه وتعالىٰ- ووضحها في معرض حديثه عن خلق الإنسان حيث قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾[2].

(١) دليل الناقد الأدبي، تأليف، د/ ميجان الرويلي، د/ سعد البازعي، ١٧٧، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م. وينظر: سيمياء الحيواس في كتاب الحيوان للجاحظ "دراسة في النظرية والتطبيق"، حسن محمد الربابعة، ٣٠٢، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد٣٤، العدد٢، ٢٠٠٧م.

(٢) سورة السجدة:٩.

إن أية تجربة شعورية تستلزم من صاحبها استدعاء الحواس لتساعده علىٰ تصوير مراده، فالحواس هي "الوسائل التي تغذىٰ ملكه التصور والخيال وتنقل إليها مجتمعة أو منفردة الصورة بشتىٰ مصادرها وطبائعها"(١).

وفي معجم المصطلحات العربية تعرف بكونها: "قوة طبيعية لها اتصال بأجهزة جسمية، بها يدرك الإنسان والحيوان ما يطرأ علىٰ جسمه من التغيرات، والحواس خمس في العرف العام، وهي: البصر والسمع والشم والذوق واللمس"(٢).

وقد اهتم النقاد بالحواس في الشعر فاستحسنوا الشعر المبني علىٰ معطيات الحواس، واستهجنوا ما ابتعد بنا عن معطيات الحواس المباشرة التي هي مادة الشعر (٣).

فحينما يلجأ الشاعر إلىٰ استخدام الصور الحسية، فإنه يقصد من وراء ذلك صبغها بالطابع الحسي، وإحالتها من المعاني العقلية إلىٰ الصورة المحسوسة والمرئية.

(١) بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د/ كامل حسن البصير، ١٢٤، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، وكامل المهندس، ١٤٣، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م. المعجم الوسيط، مادة (حس). إبراهيم مصطفىٰ ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار النشر : دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، باب الحاء، ج١، ١٧٢.

(٣) شعرية الحواس وجماليات الصورة الشعرية دراسة في شعر ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٢٨هـ)، أ.م.د/ جمعة حسين يوسف الجبوري، ٥٠، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد (١٠) العدد (٣٦) أيلول ٢٠١٨م- ذي الحجة ١٤٣٩هـ.

ومن هنا فإن الصورة الحسية هي تلك الصورة التي ندركها عن طريق الحواس فالعين ترىٰ والأنف تشم الروائح، واليد تتحسس وتتلمس الأشياء، واللسان يتذوق الطعوم، والأذن تسمع الصوت العذب.

وقد عبر (البردوني) عن مشاعره بالصور الحسية من خلال الاعتماد علىٰ الحواس واستدعائها؛ كي ينقل المعنىٰ إلىٰ نفس المتلقي بكل سهولة لإبراز جماليات التصوير في شعره، ونقل تجربته الشعرية بصورة إبداعية مؤثرة، فحينما ترىٰ العين تنقل لنا الصورة المرئية مثل الألوان والأشكال، بينما التذوق ينقل لنا الطعم، أما الشم فإنه ينقل لنا رائحة الأشياء كالعطر ونحوه، وغيرها من الأوصاف، وهكذا بقيت الحواس...

فحينما يلجأ الشاعر إلىٰ تصوير حدث ما، فإنه يعمد إلىٰ تقريب الصورة للقارئ عن طريق توظيفه للطابع الحسي الذي تتجسد من خلاله الحواس، "فالشاعر حين يستخدم الكلمات الحسية بشتىٰ أنواعها لا يقصد أن يمثل بها صورة لحشد معين من المحسوسات، بل الحقيقة أنه يقصد بها تمثيل تصور ذهني معين له دلالته وقيمته الشعورية، وكل ما للألفاظ الحسية في ذاتها من قيمة هنا هو أنها وسيلة إلىٰ تنشيط الحواس وإلهابها، لأن الشعر إذا كان تقريريا أو عقليا صرفا كان مدعاة للملل"[(١)].

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د/ عزالدين إسماعيل، ١٣٢، ط٣، دار الفكر العربي.

وقد تتداخل كل هذه الصور الحسية، فتكون بصرية سمعية أو بصرية ذوقية سمعية وغير ذلك وهو ما يطلق عليه (تراسل الحواس) فيكون تأثيرها في النفس أقوىٰ وأصدق وأعمق.

وباستقراء شعر (البردوني) تبين أن جل اهتمامه كان منصبا علىٰ الصور الحسية شأنه شأن الشعراء المبصرين، ومن ثم لم يمثل له العمىٰ أية إعاقة في تشكيل صوره الشعرية، بل كان له الأثر الأكبر في تكوينه الفكري والثقافي والسلوكي والاجتماعي، وهذه الصور تتمثل في الآتي:

١. الصورة البصرية
٢. الصورة السمعية
٣. الصورة الذوقية
٤. الصورة الشمية
٥. الصورة اللمسية

وقام الباحث بدراسة كل حاسة من هذه الحواس السابقة في مبحث مستقل، ودراستها علىٰ حدة، وبيان مدىٰ مقدرة الشاعر علىٰ توظيفها واستنطاقها بصورة إبداعية مؤثرة، وما ينسجم مع تجربته وتشكيل أبعادها الدلالية وإيحاءاتها الفنية.

المبحث الأول: الصورة البصرية

تعد الصورة البصرية من أقوىٰ المدركات الحسية وأقدرها في نقل التجارب الخارجية إلىٰ النفس الإنسانية، وهي تلك الصورة التي ينقلها الشاعر للمتلقي مستعينًا بحاسة البصر، فيكون اعتماده كله عليها في تجسيد المعنىٰ وتكثيف الدلالة، وتعد حاسة البصر من أهم حواس الإنسان، فمن خلالها يتمكن الرائي من إدراك الأشياء المحيطة به، وبما أن الصورة البصرية للمبدع تعتمد علىٰ العين بجانب الخيال في تصوير الأشياء، فإن للحواس الدور العظيم في نقل الصورة الحسية للمتلقي، فالعناصر الحسية تطلق علىٰ "كل ما يتصل من عناصر الصور بحاسة البصر اتصالا مباشرا"(١).

وهذا أمر طبعي بالنسبة للشاعر المبصر أما الشاعر الأعمىٰ كالبردوني، فإنه يجمع كل شيء لتكثيف الصورة الحسية، وقد يلجأ الشاعر إلىٰ خلق صورة بصرية تحرك خيال المتلقي ليستنبط من خلالها صورة أخرىٰ يريد الشاعر إيصالها إلىٰ ذهن المتلقي.

ويعد التشكيل اللوني من أهم الأشياء التي تعتمد عليها الصورة البصرية عند (البردوني) فقد اتخذ لغة الألوان وإيحاءاتها وسيلة شعرية مهمة يلون بها قصائده بأبهىٰ الألوان المستمدة من الصورة البصرية؛ حيث إن "**ألوان** الأشياء وأشكالها هي المظاهر الحسية التي تحدث توترا في

(١) الصورة البصرية في شعر العميان، دراسة نقدية في الخيال والإبداع، د/ عبد الله بن أحمد المُغامري الفيفي، ٥، كلية الآداب جامعة الملك سعود، النادي الأدبي بالرياض، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

الأعصاب وحركة في المشاعر، إنها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها في الناس لكن المعروف أن الشاعر – كالطفل – يحب هذه الألوان والأشكال ويحب اللعب بها غير أنه ليس لعبا لمجرد اللعب، وانما هو لعب تدفع إليه الحاجة إلىٰ استكشاف الصورة أولاً ثم إثارة القارئ أو المتلقي ثانيا... إنها تصورات تستمتع الحواس باستحضارها"[1].

فالصورة تستمد وتكتسب جمالها من الألوان؛ لما توحيه من دلالات نفسية وفنية تعبيرية ورمزية عميقة، فاللون الأبيض مثلا قد يدل علىٰ الجمال، والأسود يعكس حالة الحزن، وهكذا...

وقد استخدم (البردوني) اللون الأبيض في قصيدته الموسومة بـ (الحب القتيل) إذ يقول[2]: (من البسيط)

وكم أهابَ بأوتاري وألهمني ... وكم شرِبتُ الأغاني البيضَ من فيهِ

واليومَ واريتُ حبي والتفتُّ إلىٰ ... ضريحه أسألُ الذكرىٰ وأنعيهِ

لقد وظف الشاعر هنا اللون الأبيض في تشكيل الصورة اللونية في قصيدته، وهو يصور هذا اليوم الحزين الذي لا ينساه أبدا وهو فقده لمحبوبته، فاللون الأبيض يدل علىٰ الكفن الذي هو رمز للموت والفناء والحزن الذي لحق بالشاعر جراء هذا الفقد، فالحب قد مات في نظره بموت محبوبته، يدل علىٰ ذلك عنوان القصيدة (الحب القتيل) حيث ذهب الشاعر

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د/ عزالدين إسماعيل، ١٢٩، وما بعدها.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٦٤، مكتبة الأرشاد، صنعاء- اليمن ، ط٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

إلىٰ الضريح الذي قد دفن فيه هذا الحب لينعيه، فكلمة (ضريح) تدل علىٰ القبر الذي يدفن فيه الموتىٰ، وهذا اللون وهذه اللفظة تعكس نفسية الشاعر الحزينة المكلومة، ومن ثم جاءت اللفظة مناسبة في موضعها الذي وضعت فيه.

كما نراه استدعىٰ اللون الأحمر في قصيدته (البعث العربي) التي قالها بمناسبة المؤتمر الذي عقده أقطاب العرب الثلاثة جلالة (الإمام أحمد) والرئيس (جمال عبد الناصر) وجلالة (الملك سعود) فيقول[1]: (من الخفيف)

وحـدةُ المجـدِ والفخـارِ التليـدِ ... زعزعـتْ مرقـدَ الصباحِ الجديـدِ
واسـتطارت تحـث قافلـةَ الفـتحِ ... وتطـوي الحـدودَ بعـد الحـدودِ
وتنـاجي العِـدا بألسـنة النـا ... رِ وبـالموتِ مـن شـفاهِ الحديـدِ
وحـدةٌ يَعرُبيـةٌ وانطـلاقٌ ... عربـيٌ يهُـزُّ صـمتَ اللحـودِ
....
وحّـدَتْ شـملَهم كبـارُ الأمـاني ... والـدّمُ الحـرُّ واعتـزازُ الجـدودِ
واسـتفاقت مـواطنُ العَـرَب الشُّـ ... ـمِّ فعـودي يـا رايـةَ العُـرْبِ عـودي
واذكـري في المعـارك الحُمْـرِ ... و (عليـًا) و (خالـدَ بـنَ الوليـدِ)
تـأنف العُـرب أن تـدوسَ حِماهـا ... الحـرَّ شـرُّ العبيـدِ أدنـىٰ العبيـدِ
آن آن الفـدا وثـار الـدمُ الحـرُّ ... يُـذيبُ القيـودَ إثـرَ القيـودِ

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١١٦، وما بعدها.

الشاعر هنا يتحدث عن الوحدة العربية، وقد استدعىٰ لونين وهما (الأبيض والأحمر)، فاللون الأحمر رمز للخطر كما أنه يرمز إلىٰ الدماء والشجاعة واستخدام القوة والشدة والبأس في المعارك أمام أي عدو، كما أنه يمثل الحركة والإثارة والعاطفة، يدل علىٰ ذلك قوله (بألسنة النار – والدم الحر – المعارك الحمر – وثار الدم الحر) فأراد الشاعر إظهار قوة العرب وترابطهم من خلال هذه العبارات الدالة المؤثرة، كما استخدم اللون الأبيض الذي تعكسه لفظة (الصبح) والذي يدل علىٰ الإشراق والصفاء والطهارة والحرية التي تنعم بها الدول العربية بدلالة قوله (الصباح الجديد) وقد أكد الشاعر أن هذه الوحدة العربية قد شيدت مستقبل العرب وجعلته في أبهىٰ صوره، ولذا ختم قصيدته بقوله[1]: (من الخفيف)

وتسامت تشيد مستقبل العُرْ بِ علىٰ زهوةِ الصباح الوليد

وفي الأخير فإن اللون الأحمر يتماشىٰ مع دلالة الغزو والحروب وهو هنا رمز للقتل والدمار المسموح به في الحروب، وهذا ما أراد الشاعر التعبير عنه.

وللبردوني نصوص كثيرة تمتزج فيها الألوان في الطبيعة وذلك لرسم وتشكيل الصورة الشعرية المعتمدة علىٰ حاسة البصر، فكما استخدم الشاعر اللونين الأبيض والأحمر في النماذج السابقة، استخدم كذلك اللون

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١١٩.

الأخضر في وصف الطبيعة في بلده (اليمن)، ومن ذلك قوله[١]: (من الخفيف)

وتملّتْ نزولكَ اليمنُ الخَضْـ ـرا ففاضت بالأغنياتِ الحناجرْ

لقد وظف الشاعر العبارة اللونية (وتملت نزولك اليمن الخضرا)؛ للتعبير عن حالة السرور والفرح التي تنتابه، فاللون الأخضر يرمز إلىٰ الماء[٢] الذي هو منبع الحياة، فالشاعر يصف في هذا البيت اليوم الذي ينتظر فيه قدوم الشاعر (عبد الوهاب عزام) إلىٰ اليمن وزيارته دار العلوم، فمن خلال الصورة اللونية عبر الشاعر عن فرحته لملاقاة صديقه، فاستدعىٰ اللون المناسب بإيحاءاته المناسبة ليعكس حالته ومزاجه.

إن الألوان تشكيل حسي بصري يعكس لنا صورة مماثلة للواقع المحسوس تماما، كما أنها تعبر عن الحالة النفسية التي تنتاب الشاعر وذلك بغرض التأثير علىٰ المتلقي، وقد نجح (البردوني) في توظيف هذه الألوان توظيفا ساعد علىٰ تثرية نصوصه وجعلها أكثر جاذبية، وتأكيدا علىٰ أهميتها في تقوية المعنىٰ وتعميق الصورة.

وتمثل الصورة البصرية الحركية العنصر الثاني من العناصر الحسية بعد الألوان، والمقصود بها تلك الوسائل التصويرية التي تنقل التعبير الحركي

(١) السابق ١٠٤.

(٢) الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، كلود عبيد نقيبة الفنانين التشكيليين في لبنان، ٤٥، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م.

في مشاهد الصور البصرية، وأبرز وسائل تصوير الحركة ألفاظ الأفعال ونحوها[1].

فالصورة البصرية الحركية تتجسد من خلال تصوير المشاهد البصرية في قالب شعري، وقد ظهر هذا في شعر (البردوني) عن طريق تداخل الأفعال البصرية مع الأفعال الحركية، وهذا ما نلحظه جليا من خلال الأبيات [2]:

(من الخفيف)

يا ابنةَ الحسن والجمالِ المدللْ أنتِ أحلىٰ من الجمال وأجمل

....

وأغنّيكِ والصباباتُ حولي زُمَرٌ تحتسي قصيدي وتنهلْ

وأناجي هواكِ في مَعْرض الأو هامِ في شاطئ الظلام المسرْبلْ

تمثلت الصورة الحركية هنا من خلال التشخيص حيث جسد الصبابات وكأنها تحتسي القصيد وتنهل، فالصبابات لا تحتسي ولا تنهل ففعل الاحتساء فعل إنساني محض، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأتىٰ بشيء من لوازمه وهو فعل الاحتساء، وأعقب هذا البيت بصورة بصرية حركية أخرىٰ من خلال قوله (وأناجي هواكِ) فالمناجاة تكون بين شخصين، ولكنه هنا ناجىٰ الهوىٰ، ومن ثمّ زاوج الشاعر بين فعلي الحركة والبصر، فكل كلمة في الأبيات تحمل صورة حسية واضحة بصفة عامة معتمدة علىٰ حاسة البصر بصفة خاصة، مما يجسد حجم الفقد عند من حرم حاسة البصر.

(١) الصورة البصرية في شعر العميان، د/ عبد الله بن أحمد المُغامري الفيفي، ١٨.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٦٦، ٦٧.

ومن ذلك قوله أيضا[١]: (من الخفيف)

عندما ضمنا اللقا في ذراعيـ ه نسينا ما في الوجود جميعا
وصبونا وعانق الحب حبا مثلما عانق الصباح الربيعا

في هذين البيتين يتضح أن فقدان البصر عند (البردوني) لا يمثل عائقا أمام إبداعه، فلم يثنه عن تكثيف قصائده عامة ببلاغة شعرية بصرية رائعة، فالصورة التي رسمها هنا لمحبوبته غاية في التألق والإبداع، فإذا حرم الشاعر حاسة البصر فليس من الطبعي أن يحرم من عنصر الخيال والإبداع، فهو هنا يصور اللقاء بينه وبين محبوبته، ويشخص هذا اللقاء وكأنه إنسان ضمهما بين ذراعيه فقال : (عندما ضمنا اللقا في ذراعيه)، فهذه الصورة البصرية الحركية تبين لنا أنه وإن كان الشاعر أعمىٰ البصر فقد امتن الله عليه بنور البصيرة، عن طريق توظيفه لمعانيه توظيفا يعكس مقدرته الشعرية، وقدرته علىٰ مجاراة المبصرين.

ومن الصور البصرية الحركية المعبرة كذلك قوله من قصيدته (نجوىٰ)[٢]: (من الطويل)

وكم هزني طيفُها في الدجىٰ وكم هزَّ قِيثاريَ المُلْهَما
وأهفو إليكِ مع الأمنياتِ كما يرتمي الفكرُ نحو السما

لقد صور الشاعر في هذين البيتين صورة حركية بصرية لطيف محبوبته الذي زاره، وقد عبّر عن ذلك بدلالة الألفاظ (طيفها- خيالاتها) وقد بيّن هنا

(١) السابق، ١٦١.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٣١.

موقفه من فراق محبوبته وبعدها عنه وما يعانيه من ألم وحزن، فلجأ إلىٰ هذه الصورة الحسية للتأثير في نفس المتلقي وتعاطفه لحالته، فللعين الأثر الكبير في رسم ملامح الصورة الشعرية، عن طريق تحديد معالم الطبيعة وجمالها كما في النماذج السابقة، إضافة إلىٰ وصف المحبوب والخمر وذلك باستخدام اللغة اللونية والأساليب البيانية.

ويتضح مما سبق أن (البردوني) لم يتأثر بفقدان البصر في تشكيل صوره الشعرية، فقد رسم صوره البصرية بدقة متناهية، وجعل من العمىٰ صديقا له بل نعمة أكثر منه نقمة، ولطالما رفض مقارنته بشعراء كبار مثل أبي العلاء المعري أو بشار ن برد؛ لأن المقارنة كانت تأتي من جهة العمىٰ الذي لا يعترف به، لا من جهة الشعر الذي أصبح حياته[1]، يقول في إحدىٰ مقابلاته التلفزيونية: "لم أشعر بسلب نعمة البصر، لأني ما طعمت نعمة البصر، فقد فقدت النظر قبل أن يكون عندي الوعي الرؤيوي، وعندما سأفارق العمىٰ سأكون قد فارقت الحياة"[2].

ففقدان البصر عند (البردوني) كان حافزا قويا ومهما إلىٰ تطوير وتعميق وتكثيف الحس الخيالي عنده، والذي أدىٰ مهمة تفوق البصر بمراحل كثيرة، كان لها صداها الكبير في أشعاره.

❁❁❁❁❁

(١) عبد الله البردوني.. الشاعر البصير، ٢٥،مجموعة من الكتاب، ط١، جولدن سيتي، الشارقة، ٢٠١٩م

(٢) مقابلة تلفزيونية علىٰ قناة «العربية،» ،١٩٩٦عىٰ الرابط: rie٤https://goo.gl/JG.

المبحث الثاني: الصورة السمعية

بما أن العين آلة النظر التي يرىٰ بها الناظر مواطن الجمال من حوله، فإن الأذن آلة السمع التي تميز الأصوات، ومن ثم تكّون صورة سمعية معينة لها أهميتها في إدراك مواطن الجمال في النص المسموع، ومن هنا فإن الإحساس بمواطن الجمال ليس مقتصرا علىٰ البصر فقط، بل تعدىٰ ذلك إلىٰ مواطن أخرىٰ كالسمع واللمس والتذوق وغيرها...

فالحواس بأكملها ومجتمعة هي التي تشكل الرؤية الجمالية التي تتسرب إلىٰ النفس الإنسانية لتذوق طبيعة الانفعال الجمالي لدىٰ الأثر الفني "فالأعمىٰ لا يحرمه عماه ملكة الخيال، بل له ملكة الخيال كما للمبصر ملكة خيال وإن كانت بالطبع مختلفة، فالخيال عند المبصر مشتق معظمه من البصر، والصور المنظورة، ولكن البصر ليس كل شيء، فهناك إحساسات أخرىٰ وإن يكن هو أعظمها، فالأعمىٰ عنده حاسة السمع، وحاسة الشم، وحاسة اللمس، والذوق، والأعمىٰ يكو□ن لنفسه من هذه الإحساسات صورة ذهنية تتداعىٰ إلىٰ مخيلته حين يفكر في شخص أو شيء كما يتداعىٰ إلىٰ مخيلة المبصر منظر ذلك الشخص أو الشيء... وهذه الصوة الذهنية تكون جميلة إذا فكّرفي امرأة جميلة، وقبيحة إذا فكر في امرأة قبيحة، وهو يستطيع أن يصف هذه الصورة ويحاول أداءها وتحديدها بالألفاظ"[(١)].

(١) شخصية بشار ، د/ محمد النويهي، ٤٠، وما بعدها، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

فالصورة السمعية عند البردوني تتشكل عن طريق استحضار الأصوات المحيطة بالإنسان من طبيعة وإنسان وحيوان وحروب ...

ومن الصور السمعية عند (البردوني) إعجابه بصوت محبوبته إعجابا شديدا فيقول[1]: (من الخفيف)

كيف أنسىٰ منكِ الحوار البديعا ... واللقا الغض والجمال الرفيعا
كيف أنسىٰ ولا نسيت وعندي ... ذكريات حرَّىٰ تذيب الضلوعا
كيف أنسىٰ ولست أنسىٰ لقاءً ... ضم قلبا صبا وقلبا صديعا
ووصالا كانت تفيض معانيـ ... ـه علينا سكينة وخشوعا
فأدرنا من الغرام حوارا ... عاطفيا يُصبي الهوىٰ والولوعا
وعتابا يكاد من رقة الألـ ... ـفاظ يجري علىٰ الشفاه دموعا
كم تساءلتُ عن لقانا وكمْ سا ... ءَلْتُ عن صفْوِهِ الظلامَ المريعا
وذكرتُ الوصال ذكرىٰ غريبٍ ... يتشهَّىٰ أوطانَه والرُّبوعا

يلحظ هنا الحضور الجلي للصورة السمعية التي تتجسد من خلال الأفعال الدالة علىٰ الحوار والتكلم والاستماع عن طريق الألفاظ (الحوار البديعا- ذكريات حرىٰ- تفيض معانيه- حوارا عاطفيا- وعتابا يكاد من رقة الألفاظ- وكم ساءلت- ذكرت الوصال) فغدت صورته السمعية تلك مقرونة في خيال (البردوني) بصورة اللقاء بينه وبين محبوبته، حيث جعل من الصوت صورة مرئية ذوقية لنشاركه إحساسه في تذوق الجمال، هذه الصورة

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٦١.

نقلت انفعالاته ومشاعره تجاه محبوبته، ومن ثم جسّد ما يدور في ذهنه من أفكار وأحاسيس سهّل علىٰ المتلقي عملية الفهم والاستيعاب.

ومن الصور السمعية التي وظفها (البردوني) أيضا قوله [١]: (من الخفيف)

وأناجي يا ربة الحسن والأشـ ... واقُ حولي مدَلَّهاتٌ صوادي
وخيالي يسمو بأجنحة الحب ... بعيدا إلىٰ وراء العباد
ومعانيك نغمةٌ ردّدتْها ... نغماتي علىٰ فم الآباد
وصلاةٌ تفجّرُ الطهرَ في محْـ ... ـراب حبي والسحرَ في إنشادي
والهوىٰ في فمي نشيدٌ نديٌّ ... وصلاةٌ قدسيةٌ في فؤادي

رسم الشاعر هنا صورة سمعية تعبر عن مدىٰ تعلقه بمحبوبته، وذلك من خلال الألفاظ (وأناجي- نغمة رددتها- وصلاة- نشيد ندي) فكلها أمور تتطلب السمع والإصغاء، إذ إن هذه الألفاظ تعبر عن الصور السمعية التي رسمها الشاعر وهو يتغزل بمحبوبته ومن ثم تأخذ بيد المتلقي إلىٰ مواطن الجمال في النص وفهمه مدلوله.

وقد انماز شعر (البردوني) بالوصف خاصة قصائده الوطنية، ومن ذلك أيضا قوله في قصيدته (نارٌ وقلب) [٢]: (من الخفيف)

كل حرف من لفظك الحلو فردو ... سٌ نديٌّ وسلسبيلٌ مُسلسل

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٨٤.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٦٦.

كلما قلتِ رفَّ من فمك الفجر وغنّىٰ الربيعُ واخضلّ

إلىٰ أن قال[1]: (من الخفيف)

وبقلبي إليكِ ألفُ عتابٍ وحوارٍ وحين ألقاكِ أخجلْ
أنا أهواكِ للجمالِ وللإلـ ـهامِ للفنِّ للحوارِ المُعسَّلْ
والغرامُ الطهورُ أزكىٰ معاني الحب؛ أسمىٰ ما في الوجودِ وأنبلْ
فانفحيني تحيّةً وتلقّي نَغَمًا من جوانحِ الحبِّ مُرسَلْ

يمضي الشاعر هنا ويتفنن في رسم هذه الصورة السمعية وما تضيفه علىٰ المشهد من دلالة سمعية مكثفة، فهو هنا يخاطب وطنه (اليمن) وشوارعها وأرضها يبث فيها جام حبه وعشقه بتلك الكلمات الدالة والمعبرة في السمع (كل حرف من لفظك الحلو- كلما قلت رف من فمك الفجر- غنىٰ الربيع- وحوارٍ- فانفحيني تحية) هذا الوطن الذي شهد نضاله من أجل النهوض به وحمايته، وما لاقاه جراء ذلك من معاناة وسجن خارج هذا الوطن الحبيب، لكن شوقه وحنينه جعلانه ينغمس في أحضانه، فيقول في وصف بلده (اليمن)[2]: (من البسيط)

مِـنْ أرض (بلقـيس) هـذا اللحـن مـن جوهـا هـذه الأنسـام والسَّـحرُ
من صـدرها هـذه الآهـات مـن فمهـا هذي اللحون؛ ومن تاريخهـا الـذكرُ
من (السعيدة) هذي الأغنيـات ومـن ظلالهـا هـذه الأطيـاف والصـورُ

لقد اشتمل ديوان (البردوني) علىٰ العديد من القصائد الوطنية خاصة ديوانه (من أرض بلقيس) موضوع الدراسة، وهذه القصيدة الوطنية التي

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٦٧، ٦٨.

(٢) السابق"، ٥٧.

تحمل نفس اسم الديوان (من أرض بلقيس) تميزت بالحنين إلىٰ وطنه (اليمن) وشوقه الدائم إليها، ويقدم الشاعر هنا أوصافه الجميلة في ذكر محبوبته (اليمن) فيصف بكل دقة وإتقان وبراعة حاله كعاشق لها وما يعانيه من الآهات والسهد والسهر، وهذا ما يظهر جليا من خلال عباراته السمعية (من صدرها هذه الآهات- من فمها هذي اللحون- من السعيدة هذي الأغنيات...) فحاله هنا كحال المحب لمحبوبته التي تدمي قلب حبيبها وهو يتلذذ بهذه الآهات والعذابات، وهنا يظهر عنصر السماع وأهميته في اكتمال الصورة لدىٰ المتلقي، فيعتمد الشاعر عليه في إضفاء إيحاءات الصورة من خلال الكلمات (اللحن- الآهات- الأغنيات)وما يبعثه هذا الصوت من لفت وانتباه سمع المتلقي وتقبله الصورة التي يريد الشاعر التعبير عنها، ومن ثم جاءت هذه القصيدة معبرة وصادقة عما يختلج في صدر الشاعر وما كان يعانيه من شوق وحنين لوطنه وهو في منفاه، ومن هنا جاءت الصورة السمعية لتؤكد هذا المعنىٰ وتقويه.

إن الصورة السمعية عند (البردوني) تغنىٰ عن البصر، فمن خلالها يستطيع الشاعر رسم صورة معينة لمن يحبها حيث يقول[١]: (من الرمل)

ها هنا كان يناجينا الغرامُ ... ويناجي المستهامَ المستهامُ
ها هنا رفَّ بقلبينا الصبا ... وتبنّانا التصافي والوئامُ
عقد الحبُّ فؤادينا كما ... يعقد الهدبَ إلىٰ الهدبِ المنامُ

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٥٥.

فتلاقيْنا بأحضانِ الصَّفا والصّبا خمرٌ وثغرُ الحبِّ جامُ
وتجاذبنا أحاديثَ الهوىٰ وسهرنا ولياليا نيامُ

إن المتأمل في هذه الأبيات يرىٰ أن (البردوني) ربما رسم صورة غاية في الجمال والروعة لمحبوبته، وذلك حينما وظف عنوانا مناسبا لقصيدته وهو (حيث التقينا) فذكر موقف تلاقيهما والنظر إليها والاستماع والاستمتاع لقولها وحديثها الذي يعشقه ويحبه، وهنا تظهر براعته في رسم صورته السمعية عن طريق سماعه لمناجاتها له وتجاذبهما أحاديث الهوىٰ والغرام، كما أنه جعل لذة محبوبته كلذة الخمر في التذوق حيث يقول في القصيدة نفسها[1]: (من الرمل)

وتمنينا الأغاني واللقا في شفاه الكأسِ لحنٌ ومدامُ

كما أنه جعل من الجمال المرئي شيئا متذوقًا فقال[2]: (من الرمل)

والصبايات الظوامي حولنا تشرب اللحن فيهتاجُ الأُوامُ

حيث جعل ممن حولهما من الشبات الصغيرات (تشرب اللحن) فأتىٰ الشاعر هنا بتراسل الحواس وهو أن تقوم حاسة بوظيفة حاسة أخرىٰ، فاللحن هنا لا يشرب بل يسمع، فالسماع تحول إلىٰ حالة معنوية وهي النشوة واللذة كشارب الخمر، فتأثير سماع صوتها وأشجانها ليس هو وحده من يتأثر به بل كل من حولها كذلك، وفي هذا إشارة إلىٰ أنه ليس

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٥٥.

(٢) السابق، ١٥٥.

بحاجة إلىٰ البصر كي يرىٰ جمالها، فجمالها يتسرب إلىٰ نفسه عن طريق سمعه لحديثها العذب، فهذه الصورة ما هي إلا تعبيراً عن حالة نفسية عايشها الشاعر وأراد التعبير عنها بصورة موحية ومؤثرة.

ومما سبق من نماذج يتبين كيف اتكأ (البردوني) علىٰ الصورة السمعية، وكيف حاكىٰ فيها القدامىٰ من الوقوف علىٰ الأطلال والديار، يناجي المحبوبة وينتظر حديثها الحلو وأخبارها، فهو بحاجة إلىٰ مناجاتها؛ فاعتمد حاسة السمع بديلا عن بصره المفقود.

كما أنه ركز علىٰ حاسة السمع وجعلها نافذته التي يطل منها علىٰ عالمه الجمالي؛ كي يستطيع البوح بما يختلج نفسه من مشاعر الحب والعشق، ومن ثم ينجح في جذب انتباه المتلقي وتعاطفه معه، ومن هنا أراد أن يثبت للمبصرين أن الأذن وهي أداة السمع تدرك جمالية الصوت تماما كقدرة العين علىٰ استيعاب الجمال والنظر إليه.

❁❁❁❁❁

المبحث الثالث: الصورة الشمية

وهي التي تعتمد علىٰ ما يمكن استقباله بحاسة الشم، ومن ثم تمييز الروائح الزكية من غيرها وما يدل عليها من كلمات مثل الطيب والأريج والمسك والعطور وما شابه ذلك، حيث تُبنىٰ الصورة علىٰ ما يمكن شمه، فالشم حاسة مهمة بالنسبة للأعمىٰ ولغيره، ولكن الأعمىٰ تكون له بمثابة قوة إدراكية تعويضية، يعوض من خلالها فقده للبصر[1]، ومن ذلك قوله في قصيدته (أم الكرم) التي نظمها عند زيارته الروضة[2]: (من الرمل)

روضةٌ فوحاءُ فِرْدَوسِيَّةٌ تلذُ اللذاتِ آنًا بعدَ آنِ
كلُّها راحٌ وروحٌ عَبِقٌ وظلالٌ وتثَنّىٰ غصن بانِ
وزهورٌ تبعثُ العطرَ كما تبعثُ السكرَ العناقيدُ الدَّواني

إن هذه الصورة الحسية تفصح عن هويتها باعتماد أفعال الشم (فوحاء- راحٌ- روحٌ- وزهور- العطر) والتي تتصل اتصالا مباشرا بحاسة الشم، وقد تطورت هذه الصورة الشمية من دلالتها الحقيقية إلىٰ دلالة رمزية؛ حيث إن الزهور ترمز إلىٰ الأمل والتفاؤل، وهو التحول من واقع بائس عاشته اليمن

(١) ينظر: عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د/ فوزي خضر، ١٩٧. ينظر: تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي، بشار بن برد أنموذجا، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة/ غادة خلدون أبو رمان، ١٥٦، جامعة جرش، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٦م.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٢٩.

إلىٰ مستقبل أفضل وحياة يسودها الأمن والهدوء، وهذا ما كان يتمناه ويرجوه الشاعر.

ومن الصور الشمية التي رسمها الشاعر بعناية وبراعة، ما جاء في قصيدته (عودة القائد)[١]: (من الكامل)

أهلاً (ولىَّ العهد) فانزل مثلما ... نزل الشعاعُ مباسمَ الزهر الطّري
لمّا طلعْتَ أفاقتِ (الخضرا) علىٰ ... فجرٍ بأنفاسِ الخلودِ مُعطّرِ
وتعانقتْ فتنُ الجمالِ وتمتمت ... بالعطرِ أعراسُ الربيعِ الأخضرِ

تظهر لنا الصورة الشمية في قوله (مباسم الزهر- الخضرا- معطّر- بالعطر-الربيع) وكل هذه الألفاظ تعبر عن الرائحة الطيبة الزكية، فلفظة (الخضرا) كناية عن اليمن المزدانة خضرة وبهجة، وقد وظف الشاعر هنا الرائحة الزكية؛ كي يرمز من خلالها عن الثائر المناضل المحقق للآمال، فهذه الصورة الشمية تعبر عن عودة القائد البطل -كما يشير عنوان القصيدة -المقاوم للاستعمار ومجابهته للظلم وبزوغ فجر النصر، وقد استطاع الشاعر من خلال هذه الحاسة تحويل "ما هو مشموم إلىٰ صورة جمالية لها أبعادها الوجودية، والشاعر الأعمىٰ يستطيع من خلال تهذيب وصقل هذه الحاسة وتدريبها علىٰ استغلالها خير استغلال في حياته العادية والشعرية، فالدربة والمران والممارسة تصقل هذه الحاسة، وتجعلها قادرة علىٰ إدراك

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٧٧، وما بعدها.

الجمال بشكل كبير"[1] وقد نجح الشاعر في توصيل فكرته للقارئ من خلال توظيفه تلك الصورة الشمية توظيفا موحيا ومؤثرا في نفس المتلقي.

وقد خص (البردوني) بلده بالرائحة العطرة فجسدها في صورة الشيء الذي يفوح بالعطر في كل مكان، حيث قال[2]: (من البسيط)

يكاد من طول ما غنىٰ خمائلها ... يفوح من كل حرف جوُّها العطرُ
يكاد من كُثر ما ضمته أغصانها ... يرفُّ من وجنتيها الوردُ والزهرُ
يا أمي اليمنَ الخضرا وفاتنتي ... منكِ الفتونُ ومني العشق والسهرُ

فالشاعر هنا وهو يصف بلده (اليمن) وقد جسدها في صورة المحبوبة التي فتن بجمالها الذي يبهر العيون، قد أصبحت مشمومة فهي تفوح بالعطر والرياحين في كل مكان، فاستعان بالألفاظ التي تعبر عن الرائحة التي تفوح بها من مثل (يفوح- جوها العطر- أغصانها- الورد- الزهر) فهذه الألفاظ تحمل في صفاتها الرائحة العطرة الزكية، وقد حصر هذا الجمال المشموم في بلده فقد فقال (يا أمي اليمن الخضرا) فلفظة ا(الخضرا) تشير مباشرة إلىٰ منظرها الجميل ورائحة أشجارها وزهورها التي تبعث الأمل والتفاؤل لكل من يزورها، فهو أسير هذه البلد والمفتون بها فقال (وفاتنتي) كما أنه أسير هذه الريحانة العطرة التي أسرته برائحتها، وقد لجأ (البردوني) إلىٰ وصف

(١) تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي، بشار بن برد أنموذجا، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة/ غادة خلدون أبو رمان، ١٥٦، جامعة جرش، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٦م.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٥٧، وما بعدها.

بلده وجعلها شيئا مشموما؛ لأنه لم يتمكن من وصف شكلها – فهو أعمىٰ– مما جعله يركز علىٰ جمال رائحتها؛ ليستعيض عن المنظر للرائي بالرائحة للضرير، وليكشف للمتلقي أن جمال رائحتها تجذب إليها من يشمها أو يمر بها، ومن ثم لجأ إلىٰ هذه الصورة الشمية الرائعة ليبرز جمال محبوبته (اليمن) وتميزها من غيرها.

وقد شهدت التجربة الشعرية عند (البردوني) نماذج عدة يتجلىٰ فيها المكون الشمي بصورة واضحة المعالم، بحيث يكون الاعتماد علىٰ حاسة الشم المكون الأساس في رسم الصورة، وهذا ما ظهر جليا في قصيدته (سحر الربيع)، والتي يقول فيها[١]: (من الرمل)

والرياحينَ شذياتُ الغنا ... تبعثُ اللحنَ مع الأنسامِ عطرا
وكأن الروضَ في بهجته ... شاعرٌ يبتكرُ الأنغامَ زهرا
وكأن الوردَ في أشواكه ... مهجٌ أذكىٰ عليها الحبُّ جمرا
وكأن الفجر في زهر الربا ... قبلةٌ عطريةُ الأنفاسِ حَرَّىٰ
يا ربيع الحب يا فجر الهوىٰ ... ما أحيلاك وما أشذاكَ نشرا
طلعةٌ فوحا وجوٌ شاعرٌ ... عاطفيٌّ كلّه شوقٌ وذكرىٰ

وهنا يعرض الشاعر لمشهد من مشاهد الطبيعة والذي لمحه بواسطة حاسة الشم، ومن ثم أصبح المكون الشمي العنصر الرئيس في إظهاره وتجسيده علىٰ خلفية النص الشعري، فوصف أثر الرياحين في نفسه فيرىٰ

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٧٢.

أنها تبعث اللحن وتحوله من مجاله السمعي إلىٰ صورة مشمومة متمثلة في رائحة العطر، فالصور التشبيهية المتمثلة في البيت الثاني والثالث والرابع (وكأن الروض...- وكأن الورد...- وكأن الفجر...) تقوم علىٰ تداخل الحواس في تشكيل الصورة الموحية بجمال وطنه (اليمن) الذي تشع منه الرائحة الطيبة والتي ترمز إلىٰ الحسن والجمال وتبعث إلىٰ التأمل والحياة.

إن جمال الصورة هنا لا يدرك إلا من خلال النظر إلىٰ عناصر الواقع المشاهد، وبناء عليه تتحول المناظر إلىٰ مشمومات بدلالة قوله (طلعة فوحا..) تثير في المتلقي جملة من الانفعالات، فالتشبيهات تقوي الصورة الحسية عامة والشمية خاصة، والتي رسم الشاعر من خلالها لوحة معبرة عن جمال الطبيعة الخلاب في بلده.

ومن الصور الشمية كذلك، ما جاء في قصيدته (شعري) والتي يقول فيها[1]: (من الرجز)

يا شعريَ الفواحَ غرّد تحتفلْ فيك العطورُ وتعبقُ الأنسامُ

وقوله[2]: (من الكامل)

غنَّاكَ شعري والربيعُ وصفوُهُ أهدىٰ إليكَ زهورَهُ والعَنْدَما

حياكَ ميلاد الربيعِ بطيبه وشدتْكَ أشعاري نشيداً ملهَما

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٤٧.

(٢) السابق، ١٩٨.

نلحظ في النموذجين السابقين أن الشاعر وظف صورته الشمية باستخدام الألفاظ التي ترمز إلىٰ الرائحة الطيبة وتشير إليها من قريب، وهي علىٰ الترتيب (شعري الفواح- العطور- الأنسام- زهوره- بطيبه) وقد أسبغ الشاعر في هذه الصورة الشمية علىٰ رائحة الشعر فاعلية، فوصفه بالفواح أي الذي تشع من الرائحة الطيبة، وبيان مدىٰ أثر هذه الرائحة علىٰ البيئة المحيطة، وبهذا فإن رائحة الشعر قد استأثرت علىٰ عنايته واهتمامه فجعل لها صورة مميزة، ومن ثم حقق بحضور هذه الصورة الشمية مراده والتعبير عما يرنو إليه.

نخلص إلى أن (البردوني) لجأ إلىٰ الصورة الشمية ووظفها خير توظيف في شعره، وفي التذوق الجمالي لما تقع عليه، وبروز دلالاتها التعبيرية المؤثرة، كما تفنن في تشكيل صورته الشمية مع ما يتفق مع مشاعره ورؤاه الفكرية وعواطفه، مما ساعد علىٰ جذب انتباه المتلقي والانخراط في عالمه الشعري وفهم قضاياه.

❁❁❁❁❁

المبحث الرابع: الصورة الذوقية

وتأتي الصورة الذوقية في المرتبة الرابعة عند الشاعر مقارنة بالصور الحسية السابقة، وهي الصورة التي "تعتمد على ما يتذوقه الإنسان من طعام أو شراب، فيكون التذوق هو الأساس الذي تبني عليه الصورة الشعرية"(١).

فحاسة الذوق تسهم في تشكيل الصورة الذوقية عن طريق استدعاء الشاعر للألفاظ الدالة على فعل التذوق من أفعال الأكل أو الشراب أو الطعام، ومن ثم تقريب المعاني المجردة إلى فهم المتلقي من خلال سحبها إلى دائرة الحس الذوقي.

وقد لجأ (البردوني) إلى استعمال الصور الذوقية التي جاءت في معرض الغزل كثيرا، حيث عمد إلى ربط الهوى والغرام بالخمر وطعمها المسكر فقال(٢): (من الرمل المجزوء)

هل شربنا خمرة الحـ ـب وهل نحن ارتوينا؟

الشاعر هنا وهو في معرض الحديث مع محبوبته يتساءل هل هما شربا معا خمرة الحب وهل ارتويا؟ بمعنى أنهما هل تبادلا المشاعر الدافئة معا؟! لأنه من المفترض بعد هذا الشرب ينتشي الشاعر وكأنه في حالة سكر.

ويبدو واضحا هنا أن الشاعر يستنكر هذا الفعل ويتعجب، فهو لم يشعر بنشوة بدلالة قوله في البيت الآتي:

---

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د/ فوزي خضر، ١٩٦، الكويت، ٢٠٠٤م.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٠٢.

آه لا خمرٌ ولا حبٌّ متىٰ كان وأينا
لاحتِ الكأس لثغريـ ـنا وجفّت في يدينا

حيث حاول إعادة بناء الصورة الذوقية من خلال ارتشافه الخمر باستخدام فعل التذوق (لاحت الكأس لثغرينا) ولكنه لم يهنأ بتذوقها فسرعان ما جفت الكأس في يديهما، وفي هذا كناية علىٰ أنه يفتقد للحبيب، وبهذا استطاع تشكيل صورة متكاملة قائمة علىٰ أساس حاسة الذوق.

ومن جميل صوره الذوقية كذلك[١]: (من البسيط)

منكِ الجمالُ ومني اللحنُ والشادي يا خمرةَ الحب في أكواب إنشادي
وحدي أغنيكِ تحت الليل محتملا جوعَ الغرامِ، وأشواقُ الهوىٰ زادي

تتجلىٰ الصورة الذوقية بوضوح من خلال قوله (يا خمرة الحب) فتمتزج الصورة عنده من خلال امتزاج طعم الخمر بفمه وشربها، حيث شبه الشاعر الحب الذي أصابه بمذاق الخمر الذي يشير إليه بلفظة (أكواب) لأن شاربه يشعر بالنشوىٰ من لذته، ولكنه سرعان ما يتحول هذا الحب إلىٰ هجر وبعد بدلالة قوله (جوع الغرام- وأشواق الهوىٰ زادي) وجاءت هذه الصورة الحسية بصورة مجازية، فليس غرض الشاعر وصف المذاق، وإنما وصف صورة ذهنية وهي إحساسه ببعد محبوبته وتلهف قلبه عليها، وبهذا نجد الشاعر ببراعة فائقة وصف لنا المشهد الذهني بكل صراعاته النفسية بصورة حسية ذوقية سريعة الإدراك والتأثير في المتلقي.

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١١٤.

إن أغلب الصور الذوقية في ديوان "من أرض بلقيس" للبردوني من الصور التي لا يتقبلها الذوق كطعم العلقم -كما هو في النموذج القادم- وهذا ما هو إلا انعكاسا صادقا للواقع المؤلم والحزين الذي يعيشه، يقول وهو علىٰ سرير المستشفىٰ[1]: (من الخفيف)

يا حياتي ويا حياتي إلىٰ كم أحتسي من يديكِ صاباً وعلقمْ؟

لقد وصف (البردوني) حياته وشخّصها في صورة شخص يمد يديه إلىٰ فم الشاعر يحتسي منها العلقم، وهذه الصورة الذوقية تتماشىٰ مع واقعه ومرضه فقد ذاق من أصناف العذاب الكثير، فقد سلسل هذا النغم الحزين وهو علىٰ سرير المستشفىٰ يتأرجح بين نهاية الألم القوي، وبداية الصحة الضعيفة، وكانت في نفسه خواطر تضطرب اضطراب الموج، وفي خواطره قلق يتململ تململ الأسد الجريح، وفي صدره خفقات تجيش كما يجيش الحميم المكظوم، وهكذا تألم الشاعر، وهكذا ترجم ألمه ومن لم يتألم فليس بشاعر، ومن لم يفصح عن المه فليس بموهوب، وقد صور الشاعر باستخدام اللفظة الدالة علىٰ التذوق (صابا- علقم) كي يصور قسوة الحياة عليه، وقد ساعدت هاتان اللفظتان في بيان أبعاد الصورة.

وتظهر براعة الشاعر في قصيدته (كيف أنسىٰ) والتي قالها علىٰ قبر حبيبة الطفولة عندما طاف به الشاعر حيث يقول[2]: (من الكامل)

هيهاتَ أن أنسىٰ هواكِ وكلما حاولتُ أن أنسىٰ ذكرتُكِ مغرما

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٣٧.

(٢) السابق ١٦٦.

يـــا للشـــجونِ وكيـــف أنســـىٰ يقتـاتُ أوصـالي وينتـزف الـدما
يـا أخـت روحـي وابتسـامَ طفـولتي وبُكـا شـبابي -آه- مـا ألقـىٰ ومـا
خلّفْتِنـي وحـدي ألـوكُ حُشاشـتي أســفًا وأفنــىٰ حُرقــة ةتضــرما
وحدي مع الأمل الذبيحِ تطوفُ بي ذِكَـــرٌ مُتيّمـــةٌ يَشُـــقْنَ مُتيّمـــا

الشاعر هنا يجسد بعض ذكريات الماضي وحنينه الدائم إليها وإلىٰ أيام صباه، والأبيات تمثل حوارا منشؤه (أنا) الشاعر والآخر (محبوبته) والتي طاف خياله إلىٰ قبرها، فالنداء المتمثل في قوله (يا للشجون- يا أخت روحي) بامتداده البعيد يوضح أن الشاعر لا يقصد مخاطبة القريب بل اتخذ من محبوبته وسيلة رمزية للتعبير عن مقصوده وما يرمي إليه من أيام صباه وما فيها من ذكريات تحمل شجونه وأفراحه التي كانت بينه وبين محبوبته، التي أصبحت الآن بعيدة عنه قد ضمها القبر، لذا استعان بالصورة الحسية الذوقية عن طريق الألفاظ (والأسىٰ يقتات- أقتات من جوعي- أستسقي الظما)؛ كي يسهل المعنىٰ ويصل بصورة مباشرة إلىٰ ذهن المتلقي من دون عناء وإعمال فكر، فعن طريق حرف الاستئناف (الواو) في قوله (وكلما حاولت) والألفاظ التي تعبر عن التذوق من مثل (والأسىٰ يقتات- أقتات من جوعي) تجسد حالة التعب النفسي الملم بالشاعر وحده وما يقاسيه من هموم الواقع، وعبر زفرة عنيفة يتلفظها الشاعر باستخدام حرف التوجع فيقول (آه ما ألقىٰ) فهو يجسد انغماس الشاعر مع واقعه الأليم الذي أصبح لا يفارقه فقال[1]: (من الكامل)

(١)الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني ، ١٦٦.

واليوم إني حول قبرِكِ صامتٌ أقتاتُ من جوعي وأستسقي الظما
وأُقبِّل القبرَ الحبيبَ ومنيتي لو أنَّ لي في كل جارحة فما

ومن ثم صار القبر هو البديل الوحيد للحبيب أو بتعبير أدق هو الحبيب نفسه كما أشار في البيت الأخير، وهذا التعبير هو الذي أراده الشاعر بدلالة عنوان القصيدة الموسوم بـ (كيف أنسىٰ) فمحبوبته في صدره لا ينساها أبدا.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الذوق ليس مقتصرا علىٰ الأطعمة فقط، فهناك أطعمة معنوية كطعم المرارة الناجمة عن الحزن والأسىٰ وغيرها من المشاعر التي تؤرق الإنسان كما في النموذج السابق، وكما في قوله في قصيدته (ليالي الجائعين) [1]: (من الكامل)

هذي البيوتُ الجائماتُ إزائي ليلٌ من الحرمان والإدجاءِ
من للبيوت الهادماتِ كأنها فوقَ الحياة مقابرُ الأحياءِ
تغفو علىٰ حُلم الرغيف ولم تجدْ إلا خيالا منه في الإغفاءِ
أصغىٰ إليها الليل لم يسمع بها إلا أنينَ الجوعِ في الأحشادِ
فكأن جيراني جراحٌ تحتسي ريَّ الأسىٰ من أدمعي ودمائي

وقد تمثلت الصورة الذوقية في قوله (تغفو علىٰ حلم الرغيف) وهذا كناية عن النهب والسلب الذي تعرض له الشعب اليمني من الاستعمار، كما أن الشاعر قد أحال الأسىٰ إلىٰ شيء ذي مذاق من خلال قوله (تحتسي ري الأسىٰ)، فالأسىٰ شيء معنوي لكنه أضفىٰ إليه الصبغة المادية، وقد

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٨٩، وما يليها.

استحضر الشاعر هذه الصورة الذوقية كي يقصد من خلالها إيحاء القارئ بالتجربة التي مر بها بلده (اليمن) وتعبيرا عن حالته النفسية السيئة التي يمر بها إيذاء تلك الظروف الحالكة والنكبات المرة المتتالية، فولىٰ اهتمامه الشعري بقضايا العرب، وقد أبرزت تلك الصورة رؤيا الشاعر وما يكتنفها من أسىٰ ولوعة علىٰ ما يجري في بلاده وأراد إصلاحها وكانت سببا في منفاه، وقد عبر الشاعر من خلال هذه الصورة الذوقية عن موقفه تجاه ما يحدث في بلاده من استعمار مستنكرا ذلك، كما صور الحالة المزرية التي مر بها شعبه.

ويقول في مطلع قصيدته (هائم) [(١)]: (من الخفيف)

قلبُه المستهامُ ظمآنُ عاني يحتسي الوهمَ من كؤوس الأماني

وتتمثل في البيت الصورة الذوقية في قوله (ظمآن عاني- يحتسي الوهم) وقد ساعدت اللفظتان علىٰ تشخيص الصورة الذوقية، فجعل من الوهم طعما مذاق فقال: (يحتسي الوهم)، وقد وصف الشاعر من خلال هذه الصورة الذوقية لنا حالته السيئة تجاه محبوبته التي لم يهنأ بلقياها وظل قلبه متعلقا بها متمنيا لقياها.

وهكذا نلحظ كيف اتكأ (البردوني) علىٰ الذائقة في تكوين صوره، فهي أحد أنماط التصوير الحسي في الشعر الذي يدرك عن طريق الذوق.

❁❁❁❁❁

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٦٩.

المبحث الخامس: الصورة اللمسية

للصورة اللمسية في شعر (البردوني) مكانة مهمة بين أنماط الصور الحسية الأخرىٰ؛ إذ إنها تمدنا بإحساساته الفنية وانطباعاته الداخلية التي لا تستطيع حاسة البصر وحدها تلمسها.

وهذه الصورة تعتمد علىٰ ما تتعامل معه حاسة اللمس من لين وخشونة وطراوة وصلابة وغيرها، ومن ثم يقوم بناء الصورة علىٰ هذه الأمور الملموسة[1].

وتشكل اليد عند الشاعر حاسة للمس، ومن ذلك قوله في قصيدته (من هواها)[2]: (من الخفيف)

أنا وحدي هنا وكلّي لديها ... أسكبُ القلب قبلةً في يديها
فهي خلفَ البعادِ والوهمُ يدنيـ ... ـها ويدني إلىٰ فمي شفتيها
من صباها جنيتُ أزهارَ شعري ... واقتطفتُ اللحونَ من وجنتيها
من هواها أذوبُ منها وفيها ... من هواها بكيتُ منها عليها
كلما شئتُ أن أفرَّ بقلبي ... من هواها فررتُ منها إليها

لقد اتكأ الشاعر هنا علىٰ حاسة اللمس التي تمثلت في قوله (أسكب القلب قبلة في يديها- ويدني إلىٰ فمي شفتيها) فجعلها وسيلة للصورة الشعرية، ركز فيها علىٰ حاسة اللمس فكثف من خلالها موهبته الشعرية ليعبر عن مخزونه العاطفي، ويعلن قدرته علىٰ مجاراة المبصرين، حيث قدم

(١) عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د/ فوزي خضر، ١٩٩.
(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٢٣.

هذه الصورة الحسية اللمسية بصورة بديعة وقدرة تخيلية فائقة، فجعل القارئ يتساءل وهو يقرأ الأبيات، كيف يكون هنا وفي الوقت ذاته يكون هناك لديها؟ وكيف يسكب قلبه قبلة في يديها؟ وهل القلب ينسكب في يدها؟! حتىٰ قال[١]: (من الخفيف)

كلما شئت أن أفرَّ بقلبي من هواها فررتُ منها إليها

فكلما أراد أن يهرب من هذا الحب، لا يجد مكانا يلوذ به سواها، لذا لجأ إلىٰ استخدام صورة حسية أخرىٰ تمثلت في قوله (فررت منها إليها) وهي صورة بصرية حركية، أكد الشاعر من خلالها مدىٰ حبه لمحبوبته ورغبته في عدم البعاد عنها فإذا فراقها لم يجد غيرها يلجأ إليه، وبذلك شكل صورة حسية متنوعة تعبر عن نفسية الشاعر؛ لتأكيد فكرته، ومن ثم وصف محبوبته بصفات مادية ومعنوية، هذه الصفات تتعامل معها حاسة اللمس وبالتالي كانت الركيزة التي قامت عليها الصورة.

ومن الصور اللمسية التي تعج من فيض الخيال وترتدي من حلله الجميلة ما نلمحه من قصيدته الموسومة بـ (عندما ضمنا اللقا) [٢]: (من الخفيف)

عندما ضمنا اللقا في ذراعيـ ـه نسينا ما في الوجود جميعا
وصبونا وعانق الحب حبا مثلما عانق الصباحُ الربيعا

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٢٣.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٦١.

وامتزجنا والحب يضفي علينا صبواتٍ مرحىٰ وجواً وديعا
وبنان الهوىٰ تغازل قلبيـ نا كما غازل النسيمُ الشموعا

لقد جعل (البردوني) من بلده (صنعاء) فتاة معشوقة، حيث خلع عليها الصفة الإنسانية، فقامت هذه الصوة اللمسية علىٰ مفردات من حق اللمس هي (ضمنا- اللقا- ذراعيه- عانق- وامتزجنا- وبنان الهوىٰ) وهي جميعها تحيل علىٰ فعل اللمس مباشرة لتعطي دلالة لمسية محسوسة، لكنها في سياقها العام تجاوزت هذا المعنىٰ الحسي إلىٰ معنىٰ مجازيا، وذلك حينما أسند الفعل (ضم) في قوله (ضمنا) إلىٰ (اللقا)، وقد زاد في جمالية الصورة قدرت الشاعر علىٰ التشخيص حين أظهر المعنوي في صورة المحسوس، هذه الصورة أكسبت النص صورة فاعلة ودالة في الوقت ذاته ومن ثم أثرت في المتلقي، فهذه الصورة اللمسية تحكي لحظة شوق الشاعر ورغبته في الرجوع إلىٰ بلده فهي تقوم علىٰ اللقاء بين الشاعر ومحبوبته (صنعاء) وما يتركه من آثار ترتسم علىٰ جدران تجربته الشعرية.

وقد يمزج (البردوني) بين الصور الحسية مزجا فنيا بديعا فيأتي بأكثر من نمط في الصورة الواحدة مما ساعد في إبراز جمالية التصوير، وهذا ما نلحظه جليا في قوله [1]: (من الخفيف)

طائرٌ عُشه الوجودُ وقلبٌ مُلهمٌ عاشقٌ وروحٌ نبيلهْ
ينشر اللحنَ في الوجود ويطوي بين أضلاعه الجراحَ الدخيلهْ

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٩٣.

يفعم الكون من معانيه شهدا ورحيقا حلوا ويطفي غليله
ويوشي الحياة سحرا كما وشـ ـت خيوطُ الصباحِ زهرَ الخميله
وفنونا ألذ من بسمة الطفل ومن نَسمة الصباح العليله
وحوارا أرقَّ من قُبَل الحب علىٰ وجنة الفتاةِ الجميلة
أنت يا شاعر الحياة حياةٌ و (كمنجٌ) حيٌّ ودنيا ظليله
تعشق النور والندىٰ وسموَ الـ ـروح في النشء والعقولِ الجليلة

لقد جمع الشاعر في هذا الطائر الذي يرمز من خلاله إلىٰ الحياة التي يتمناها ويألفها أنماطا عدة من الصور الحسية تتمثل في الصورة السمعية وتمثلت في قوله (ينشر اللحن- وكمنجٌ) والصورة الشمية (يفعم الكون من معانيه شهدا ورحيقا- زهر الخميلة) والصورة الذوقية وتتمثل في (وفنونا ألذ) واللمسية المتمثلة في قوله (قبل الحب) والصورة اللونية في قوله (تعشق النور) الدالة علىٰ الوضوح والرؤية، وبهذا يكون الشاعر قد استغل أكثر من حاسة للتعبير عن صوره الجزئية ومعانيه التي يرمي إليها، فيضفي علىٰ صوره الوضوح والدقة من دون إعمال فكر لدىٰ المتلقي ومن ثم التأثير فيه من دون معاناة أو ملل.

ومما سبق يتبين كيف استطاع الشاعر الضرير بموهبته الفذة وملكته الشعرية من استنطاق الحواس كافة بصورة إبداعية ودقيقة وكأنه يرىٰ بعينين نافذتين إلىٰ أعماق الأشياء، وذلك عن طريق تكثيف الدلالة وإبراز جمالياتها.

- **تراسل الحواس**

وقد تتداخل الحواس مع بعضها فتقوم حاسة بالقيام بوظيفة عمل حاسة أخرىٰ وهو ما يعرف بـ (تراسل الحواس) فيكون تأثيرها في النفس أقوىٰ وأوضح.

ويعد تراسل الحواس من التقنيات المهمة التي تستثمر معطيات أكثر من حاسة للاستفادة من إيحاءاتها ودلالاتها، فالحواس تتواصل فيما بينها عن طريق اشتراك معظم الحواس كالسمع والبصر واللمس وغيرها من الحواس؛ لتقدم صورة معينة لا يُتوصل إليها إلا بتداخل هذه الحواس.

وتعرف بأنها "تعبير يدل علىٰ المدرك الحسي أو يصف المدرك الحسي الخاص بحاسة معينة بلغة حاسة أخرىٰ، مثل إدراك الصوت أو وصفه بكونه مخمليًا أو دافئًا أو ثقيلا أو حلواً وكأن يوصف دوي النفير بأنه قرمزي"(١).

ويعرفه محمد غنيمي هلال بقوله: "وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرىٰ، فتعطي المسموعات ألوانا، وتصير المشمومات أنغاما، وتصير المرئيات عاطرة .. وذلك أن اللغة –في أصلها– رموز تنبعث لتثير في النفس معاني وعواطف خاصة، والألوان

(١) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، وكامل المهندس، ١٤٨.

والأصوات والعطور تنبعث من مجال وجداني واحد، فنقل صفاتها بعضها إلىٰ بعض يساعد علىٰ نقل الأثر النفسي كما هو أو قريب مما هو"[١].

فتراسل الحواس تعني منح حاسة ما بصفات أو عمل مدركات حاسة أخرىٰ، فالأذن ترىٰ والعين تسمع وهكذا... وتعد هذه التقنية من أبرز التشكيلات الحسية للصورة؛ لما تمتلكه من قدرات علىٰ التأثير علىٰ المتلقي لما تكسبه من متعة لغرابتها وبعدها عن المألوف.

وقد وظف (البردوني) في شعره خاصية تراسل الحواس بتوظيف الحواس الخمس المعروفة بشكل لافت للنظر والبعد عن المألوف وتعميق الدلالة وتكثيفها، وهذا ما نلمحه جليا في قصيدته (فلسفة الجراح) والتي يقول فيها[٢]: (من الكامل)

أبكي فتبتسم الجراح من البكا فكأنها في كل جارحة فمُ
يا لابتسام الجرح كم أبكي وكم ينساب فوق شفاهه الحمرا دمُ

استطاع الشاعر في هذا النموذج أن يبلور صورة فنية قائمة علىٰ تبادل مدركات الحواس من خلال تصوير فلسفة الجراح من خلال قوله (أبكي فتبتسم الجراح) فالبكاء من مدركات السمع؛ لما يحمله من آهات وتنهدات وبدلالة قوله أيضا في البيت الأخير[٣]: (من الكامل)

(١) النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، ٣٩٥، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

(٢) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١١٢.

(٣) السابق ١١٣.

وأصوغ (فلسفة الجراح) نشائداً يشدو بها اللاهي ويُشجَىٰ المؤلَمُ

وما يلبث أن يتحول المسموع إلىٰ شيء ملموس، وذلك بإضافة بعد آخر من أبعاد الصورة بإسقاط اللون الدامي من خلال قوله (ينساب فوق شفاهه الحمرا دم) وهو من مدركات البصر، حيث أدخل اللون الأحمر بدلالة الدم والذي يكشف عن جانب مهم من جوانب التجربة الشعرية عند الشاعر، إذ يوحي بالحزن والحسرة والألم الذي ألم بالشاعر، ومن ثم يضفي علىٰ قصائده روح النضال والثورة ضد الظلم وبزوغ نور الحرية.

ومن التراسل السمعي الشمي قوله في قصيدته (من أرض بلقيس) [1]:

(من البسيط)

يكاد من طول ما غنىٰ خمائلها يفوح من كل حرف جوُّها العطِرُ

فالشاعر في هذا البيت شديد الوضوح والدقة في اختيار الألفاظ، ومن خلال تراسل الحواس توسعت معاني الحس، وتداخل ما يُرىٰ ويُسمع علىٰ ما يُشم، وذلك حينما مزج بين حاستي السمع والشم، حيث صور الشاعر هنا صورة الأشجار الجميلة (الطبيعة) وهو يصف بلده (اليمن) وما يسمع من دويها من أصوات محببة وأنغام، وأكسب هذه الأنغام المسموعة رائحة عطرة تفوح من هذه الأشجار تملأ البلدة فتنال إعجاب كل من يمشي في رباها، وهذا رغبة منه في تقديم صورة الطبيعة المحببة إلىٰ قلبه، وبالتالي إعجاب المتلقي.

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ٥٧.

وقد تفنن (البردوني) في وصف شعره وهو مدرك سمعي بأوصاف تدرك بواسطة البصر والشم، ومن ذلك قوله في قصيدته التي بعنوان (شعري) ومطلعها[١]: (من الرجز)

غرد فأنتَ الحب والأحلامُ ... أَنشِدْ يُصفِّق حولكَ الإعظامُ
يا كافراً بالصمتِ والإحجامِ طِرْ ... واهتفْ فداكَ الصّمتُ والإحجامُ
واسبح بآفاق الجمالِ وطُفْ كما ... تهوَىٰ ويهوَىٰ جوّهُ البسّامُ
يا شعريَ الفواحَ غرد تحتفلْ ... فيك العطورُ وتعبَقُ الأنسامُ

لقد شخص الشاعر هنا شعره وصوره في صورة إنسان يخاطبه، فالشاعر هنا يخاطب شعره ويطلب منه أن يغرد، وبالتالي يُدرَك الصوت بواسطة السمع عن طريق الألفاظ (غرد- واهتف) كما وصف شعره بالحركة وهو مدرك بصري بدلالة الألفاظ (واسبح- وطف) وكلها ألفاظ توحي بالحركة التي تدرك عن طريق العين، فاللغة الشعرية عند الشاعر التي تدرك بحاسة البصر تتحول إلىٰ شيء يُشم بدلالة قوله (يا شعري الفواح- العطور) فأسبغ علىٰ شعره الرائحة العطرة التي تدرك بالشم والأصل في الشعر السماع كما هو معروف، ولكن الشاعر لجأ إلىٰ ذلك لتتشكل بذلك لوحة فنية قائمة علىٰ تبادل مدركات الحواس، فالأذن تشم رائحة الشعر بدل أن تسمعه، مما يعكس روح التجربة الشعرية عند (البردوني) من خلال توظيف الحواس توظيفا يوحي بحالته النفسية، مما يعمل علىٰ تثرية فضاء النص الشعري

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٤٧.

ويجعله أكثر جمالا، ومن ثم تبرز مهارات الشاعر في تشكيل صوره الحسية، وتقديم صورة أكثر تأثيرا علىٰ المتلقي.

وقد نستشف من بعض قصائد (البردوني) العنصر التشكيلي في رسم صوره الشعرية، حيث يؤدي تراسل الحواس إلىٰ بيان اهتمام الذات الشاعرة بموضوعها، ويظهر ذلك حينما يصف (البردوني) قدوم المرحوم الدكتور (عبد الوهاب عزام) إلىٰ اليمن، وزيارته دار العلوم في صنعاء، فنراه يقول[1]: (من الخفيف)

صافحتكَ القلوبُ قبل النواظرْ ... واستطارتْ إلىٰ لقاكَ الخواطرْ
وتلقاكَ عالم اليمن الحُرِّ ... كما لاقتِ النفوسُ البشائرْ
وارتمىٰ يسكبُ التراحيبَ ألوا ... نًا كما تسكبُ اللحونَ القيائرْ
وتملّتْ نزولكَ اليمن الخَضْـ ... را ففاضت بالأغنيات الحناجرْ

هذه القصيدة تأتي ضمن سياق شعري عام يصف قدوم المرحوم الدكتور (عبد الوهاب عزام) إلىٰ اليمن، وزيارته دار العلوم في صنعاء، يرىٰ فيه (البردوني) تشكلا جماليا يستحق المشاهدة، لما فيه من تكامل المشهد الذي يرسم الأبعاد الجمالية لهذه البلد وهذا الاستقبال الذي تحفه كل مشاعر الحب والمودة لهذا الضيف، وقد وظف الشاعر الصورة الحسية التي تأتي مزدوجة في أدائها عبر تقنية تراسل الحواس، حيث تكونت الصورة الحسية فيها من تجمع حاسة اللمس (صافحتك القلوب) وحاسة البصر

(١) الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، ١٠٤.

(اليمن الخضرا) وحاسة السمع (ففاضت بالأغنيات الحناجر) ومن ثم كانت الدلالة المعبرة عن هذه الصور علىٰ المستوىٰ الذهني والمستوىٰ المحسوس، فالصورة البصرية اللمسية شكلت المظهر الأول لهذا التراسل الناتج عن المصافحة والمقابلة الحسنة لهذا الزائر، فالمصافحة تكون باليد وليست بالقوب، ولكن الشاعر أراد أن يظهر المحبة لهذا الضيف وترحيبا بنزوله اليمن، والذي أدىٰ إلىٰ استتباع مشهد آخر تمثل في قوله (يسكب التراحيب) فقد شخص (اليمن) في صورة إنسان يرحب به كذلك، كما عبر من خلال الصورة السمعية الإحساس بالجمال الموسيقي من سمع الشاعر لهذا النغم الناتج عن الانشاد والترحيب، فأدىٰ التراسل الحسي إلىٰ تأكيد العلاقة بين طرفي الصورة ، وبالتالي تظهر علاقة المحبة بين الشاعر وصديقه.

ومن هنا نتوصل إلى أن تراسل الحواس من الوسائل التي لجأ إليها (البردوني) للتعبير من خلاله عن انفعالاته النفسية وعواطفه الداخلية، كما أن لفقدان البصر عند (البردوني) عظيم الأثر في توجيه الحواس وتراسلها في شعره، وذلك عن طريق استنطاقها وفهم ما أودعه الشاعر من رؤىٰ وأفكار داخل قصائده.

الخاتمة ونتائج الدراسة

وبعد طول دراسة يمكنني القول بأن سيميائية الحواس من الظواهر الأدبية المعاصرة التي لجأ إليها الشعراء عامة و(البردوني) خاصة كوسيلة مهمة من وسائل تشكيل الصورة الشعرية في قصائدهم، فبعد القراءة المتأنية والفاحصة لديوان (من أرض بلقيس) للبردوني ودراسة (سيميائية الحواس في شعره)، خلصت الدراسة إلىٰ مجموعة من النتائج، تمثلت في الآتي:

- لقد وظف (البردوني) في ديوانه (من أرض بلقيس) مجموعة من الصور الحسية، بأنواعها المختلفة التي تعكس قدرته علىٰ توظيف مدركاته الحسية للتعبير عن إحساسه ومشاعره، وما ينسجم مع تجربته الشعورية، فقد عمد إلىٰ توظيف التعابير اللغوية الدالة علىٰ الجوانب الحسية، التي لها صلة بكل ما يُرىٰ ويُسمع ويُشم ويُلمس ويُتذوق، وذلك بهدف إنتاج صور حيوية موحية قابلة للتخيل بطريقة تجعلها تتجسد أمام متلقيها الذي يحس بها ويعيش داخل ذلك المشهد المصور الموصوف، وقد وزعها علىٰ قصائده في الديوان بصورة تكاد تكون متساوية، فتحتل الصورة البصرية الصدارة، إذ إن الطابع العام للصورة أنها مرئية شأنه شأن الشعراء المبصرين، ومن ثم لم يكن لفقدان البصر أثر في توجيه الحواس، ثم تأتي الصورة السمعية تليها الشمية ثم بقية الصور من ذوقية ولمسية، فهذه الصور الحسية تعكس عمق إحساسه بشعرية هذا النوع من الصور التي تسهم بشكل فعال في بناء قصائده، وذلك من خلال علاقة الترابط بين الحسي والمجازي، وتحويل العلاقات بينها من ذهنية ونفسية إلىٰ علاقات حسية لمسية، "فإذا كان الجدري قد أطفأ الضوء في عينيه وهو في الخامسة من

عمره، فإنه لم يتمكن من إطفاء جذوة بصيرته التي كشفت له ما احتجب عن غيره"[١].

- لقد وظف الشاعر صوره الحسية في الأغراض المختلفة؛ ليعكس لنا تجربته الشعرية وما يجول في خاطره ومشاعره، ففي غرض الغزل وظف الصورة البصرية للتعبير عن حنينه الدائم إلىٰ محبوبته والشكوىٰ من فراقها، كما وظف الألوان التي تتناسب مع هذا الغرض بدلالاتها ومدلولاتها، ووظف الصورة الحسية السمعية للتعبير عن فخره بقصائده ووقعها علىٰ الأسماع وما تحدثه من نغم وشجن، وللتعبير عن صوت محبوبته العذب المحبب لديه، إضافة إلىٰ استحضار الأصوات المحيطة بالإنسان من طبيعة وإنسان وحيوان وحروب، كما وظف الصورة الشمية ليعبر من خلالها عن الرائحة العطرة التي تفوح من محبوبته، وتغنيه بها، كما وصف جمال الطبيعة في بلده اليمن ورائحة حدائقها وجوها العذب، أما عن الصورة الذوقية فقد وظفها في التلذذ بثغر محبوبته وبطعم الخمرة، إضافة إلىٰ طعم المرارة الناجم عن الحزن والأسىٰ الذي قد يلحق بالإنسان فيعكر صفوه، وهذا كله يعكس مدىٰ أهمية هذه الصورة الحسية عند الشاعر، ودورها الفعال في التأثير علىٰ المتلقي بشكل مباشر.

- كما استطاع بموهبته الفذة أن يوظف الأذن بحاستها السمعية كوسيلة مهمة من وسائل تذوق الجمال السمعي ووسيلة للعشق، فكما أن العين (حاسة البصر) هي جارحة الجمال المنظور، فإن الأذن (حاسة

(١) دراسات وأبحاث ندوة عبد الله البردوني الشاعر البصير، ٢٢.

السمع) هي جارحة الجمال المسموع، ومن هنا نجح في تشبيهاته وغيرها من الصور الجمالية شأنه شأن الشعراء المبصرين بل قد يفوق بعضهم، حيث استعاض عن فقدان حاسة البصر بالحواس الأخرىٰ من سمع وشم وتذوق ولمس، مصورا ما سمعه وما تذوقه بجمالية بارعة، فمثلا لا يركز علىٰ جمال المرأة في غزله كجسد أنثوي وإنما يرسم بالصورة ما تضيفه المرأة علىٰ حياته من أحاسيس وانفعالات ومشاعر حسب تجربته العاطفية.

- لقد حقق تراسل الحواس في شعر (البردوني) لوحات استعارية معبرة ذات طابع شعري يعكس رؤيته وما ينسجم مع تجربته الشعرية، خالقا وحدة متلاحمة مستثمرا الفعالية الوظيفية لأسلوب التراسل، من خلال تبادل وظائف الحواس حتىٰ تخرج هذه التبادلات في النهاية وفق رؤيته، قاصدا من هذا كله نقل إحساسه وشعوره إلىٰ ذهن المتلقي، ومداعبة خياله لسبر أغوار الصورة، وإحداث أثرا جماليا في نفسه.

- كان (البردوني) يقظ الحواس يرىٰ كل شيء من خلالها ويتمثل الأشكال والمرائي، ويتحدث عنها وكأنه يرىٰ بعينين نافذتين إلىٰ أعماق الأشياء، ففقدان البصر عنده كان عاملا قويا ومهما إلىٰ تطوير وتعميق وتكثيف الحس الخيالي عنده، والذي أدىٰ مهمة تفوق البصر بمراحل كثيرة، كان لها صداها الكبير في أشعاره، كما وظف صوره الحسية خير توظيف في شعره، وفي التذوق الجمالي لما تقع عليه، وإبراز دلالاتها التعبيرية المؤثرة والموحية، كما تفنن في تشكيل صوره مع ما يتفق مع مشاعره ورؤاه الفكرية، مما ساعد علىٰ جذب انتباه المتلقي والانخراط في عالمه الشعري وفهم مراد الشاعر من دون معاناة أو ملل.

وأخيرًا –وبعد طول عناء– فقد حاولتُ كشف اللثام عن هذا الموضوع الموسوم بـ (**سيميائية الحواس في شعر عبد الله البردوني ديوان (من أرض بلقيس) أنموذجا**) فاسحا المجال لباحثين آخرين دراسة شعره من جوانب أخرىٰ.

﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [سورة هود:٨٨].

المصادر والمراجع

- الأعمال الشعرية، عبد الله البردوني، المجلد الأول، ديوان "من أرض بلقيس"، مكتبة الأرشاد، صنعاء- اليمن ، ط٤، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- الألوان (دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها)، كلود عبيد نقيبة الفنانين التشكيليين في لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٣م.
- بناء الصورة الفنية في البيان العربي، د/ كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- تراسل الحواس في شعر العميان في العصر العباسي، بشار بن برد أنموذجا، رسالة ماجستير، إعداد الطالبة/ غادة خلدون أبو رمان، جامعة جرش، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ٢٠١٦م.
- دراسات وأبحاث ندوة عبد الله البردوني الشاعر البصير، (٥-٦ سبتمبر ٢٠١٨م)، سلسلة الندوات (٢١)، مطبعة جولدن سيتي- الشارقة، ط١، ٢٠١٩م.
- دليل الناقد الأدبي، تأليف، د/ ميجان الرويلي، د/ سعد البازعي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٢م.
- سيمياء الحيواس في كتاب الحيوان للجاحظ "دراسة في النظرية والتطبيق"، حسن محمد الربابعة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد٣٤، العدد٢، ٢٠٠٧م.
- السيميائية أصولها ومناهجها ومصطلحاتها، سعدي موسىٰ عمر البشير، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجية.

– شخصية بشار ، د/ محمد النويهي، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥١م.

– الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، د/ عزالدين إسماعيل، ط٣، دار الفكر العربي.

– شعرية الحواس وجماليات الصورة الشعرية دراسة في شعر ابن الزقاق البلنسي (ت ٥٢٨هـ)، أ.م.د/ جمعة حسين يوسف الجبوري، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية (مجلة علمية محكمة) المجلد (١٠) العدد (٣٦) أيلول ٢٠١٨م- ذي الحجة ١٤٣٩هـ.

– الصورة البصرية في شعر العميان، دراسة نقدية في الخيال والإبداع، د/ عبد الله بن أحمد المُغامري الفيفي، كلية الآداب جامعة الملك سعود، النادي الأدبي بالرياض، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

– عبد الله البردوني.. الشاعر البصير، مجموعة من الكتاب، ط١، جولدن سيتي، الشارقة، ٢٠١٩م

– عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، د/ فوزي خضر، الكويت، ٢٠٠٤م.

– قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، د/ سمير سعيد حجازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

– معجم الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة- يناير ١٩٩٠.

– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، وكامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفىٰ ـ أحمد الزيات ـ حامد عبد القادر ـ محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، باب الحاء، ج١.
- معجم لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الطبعة الأولىٰ، دار صادر – بيروت.
- مقابلة تلفزيونية علىٰ قناة «العربية»،١٩٩٦عىٰ الرابط: https://goo.gl/JGrie٤.
- نبذة عن الشاعر عبد الله البردوني، الشبكة العنكبوتية، موقع سطور ، ٢٣ يوليو ٢٠١٩م.
- النقد الأدبي الحديث، د/ محمد غنيمي هلال، دار نهضة مصر للنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.

❁❁❁❁❁

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	١٠٤٣
التمهيد	١٠٥٦
المبحث الأول: الصورة البصرية	١٠٦٤
المبحث الثاني: الصورة السمعية	١٠٧١
المبحث الثالث: الصورة الشمية	١٠٧٤
المبحث الرابع: الصورة الذوقية	١٠٧٧
المبحث الخامس: الصورة اللمسية	١٠٨٣
تراسل الحواس	١٠٨٧
الخاتمة ونتائج الدراسة	١٠٩٣
المصادر والمراجع	١٠٩٧
فهرس الموضوعات	١١٠٠